اختيار الأولى

في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى

للإمام العلامة المحدث الحافظ الأصولي الواعظ الفقيه

زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين

أبي العباس أحمد بن حسن بن رجب شيخ المحدثين

في عصره المتوفى سنة ٧٩٥ هـ

رحمه الله وجعل الجنة مثواه

صحح أصوله وعلق عليه محمد منير الدمشقي من علماء المعهد الأزهري وصاحب

طبع على نسختين مختلفتي التاريخ أشير اليهما في أسفل صحائف الكتاب

حقوق الطبع محفوظة لها

درب الاتراك رقم ١

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه ثقتي

الحمد لله رب العالمين ، وصلاته وسلامه على محمد خاتم النبيين * وإمام المتقين ، [ورسول رب العالمين] (١) ، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم باحسان إلى يوم الدين [وسلم تسليما كثيرا] (٢) *

خرج الامام أحمد رحمه الله تعالى من حديث معاذ بن جبل رضى الله عنه قال «احتبس عنا رسول الله ﷺ ذات غداة (٣) فى صلاة الصبح حتى كدنا نتراءى (٤) قرن الشمس فخرج رسول الله ﷺ سريعا فثوب (٥) بالصلاة وصلى وتجوز فى صلاته فلما سلم قال : كما أنتم على مصافكم ثم أقبل الينا فقال انى سأحدثكم ما حبسنى عنكم الغداة إنى قمت من الليل فصليت ما قدر لى فنعست فى صلاتى حتى استثقلت (٦) فاذا أنا بربى عز وجل فى أحسن صورة فقال يا محمد [اتدرى] (٧) فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ قلت : لا أدرى رب قال: يا محمد فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ قلت : لا أدرى رب قال : يا محمد فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ قلت : لا أدرى رب (٨) فرأيته وضع كفه بين كتفى حتى

---

(١) الزيادة من النسخة النجدية (٢) الزيادة من النسخة النجدية (٣) فى مسند الامام أحمد ج ٥ ص ٢٤٣ « عن صلاة الصبح » (٤) التراثى تفاعل من الرؤية يقال تراءى القوم اذا رأى بعضهم بعضا وتراءى لى الشىء أى ظهر حتى رأيته (*) المراد بالتثويب هنا الاقامة (٦) فى المسند « حتى استيقظت » وسيعيد ذكره المصنف بعد بلفظ ماهنا (٧) الزيادة من المسند (٨) كذا فى النسختين بتكرار الاستفهام ثلاثا ، وفى المسند مرتين فقط

وجدت برد أنامله فى صدرى (١) وتجلى لى(٢) كل شىء وعرفت فقال : يامحمد فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ قلت : فى الكفارات والدرجات (٣) قال : وما الكفارات ؟ قلت : نقل الأقدام إلى الجمعات . والجلوس فى المساجد بعد الصلوات . واسباغ الوضوء عند الكريهات قال : وما الدرجات قلت : اطعام الطعام ولين الكلام والصلاة والناس نيام قال سل ؟ قلت: اللهم إنى أسئلك فعل الخيرات . وترك المنكرات . وحب المساكين . وأن تغفر لى وترحمنى ، وإذا أردت فتنة فى قوم فتوفنى غير مفتون وأسألك حبك وحب من يحبك وحب عمل يقربنى إلى حبك ، وقال رسول الله ﷺ انها حق فادرسوها وتعلموها» وخرجه الترمذى ، وقال : حديث حسن صحيح قال : وسألت محمد بن اسماعيل البخارى عن هذا؟ فقال : هذا حديث حسن صحيح .

﴿قلت﴾ : وفى اسناده اختلاف وله طرق متعددة وفى بعضها زيادة وفى بعضها نقصان، وقد ذكرت عامة أسانيده وبعض الفاظه المختلفة فى كتابى شرح الترمذى ، وفى بعض الفاظه عند الامام أحمد . والترمذى أيضا والمشى على الأقدام إلى الجماعات، بدل الجمعات : وفيه أيضا عندهما بعد ذكر الكفارات زيادة «ومن فعل ذلك عاش بخير ومات بخير وكان من خطيئته كيوم ولدته أمه» وفيه أيضا عندهما «والدرجات افشاء السلام ، بدل لين الكلام ، وفى بعض رواياته «فعلمت ما فى السماء والأرض ثم تلى (وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين) «وفى رواية أخرى «فتجلى لى ما بين السماء والأرض » وفى رواية «ما بين المشرق» وفى

---

(١) فى المسند « بين صدرى »(٢) فى المسند « فتجلى لى »

(٣) سقط لفظ « والدرجات » من المسند غلطا

بعضها زيادة فى الدعاء وهى «وتتوب على» وفى بعضها «اسباغ الوضوء فى السبرات»(١) وفى بعضها «وقال يا محمد اذا صليت فقل : اللهم إنى أسألك فعل الخيرات» فذكره .

والمقصود هنا شرح الحديث وما يستنبط منه من المعارف والأحكام وغير ذلك . ففى الحديث دلالة على أن النبى ﷺ لم يكن من عادته تأخير صلاة الصبح الى قريب طلوع الشمس وانما كانت عادته التغليس (٢) بها، وكان أحيانا يسفر بها(٣) عند انتشار الضوء على وجه الأرض ، وأما تأخيرها الى قريب طلوع الشمس فلم يكن من عادته ولهذا اعتذر لهم عنه فى هذا الحديث . وقد قيل إن تأخيرها الى هذا الاسفار الفاحش لا يجوز لغير عذر وانه وقت ضرورة كتأخير العصر الى بعد اصفرار الشمس وهو قول القاضى (٤) من أصحابنا فى بعض كتبه ، وقد أومأ اليه الامام أحمد وقال: هذه صلاة مفرط انما الاسفار أن ينتشر الضوء على الأرض .

وفى الحديث دلالة على أن من أخر الصلاة الى آخر الوقت لعذر أو غيره وخاف خروج الوقت فى الصلاة ان طولها أن يخففها حتى يدركها كلها فى الوقت .

وأما قول أبى بكر الصديق رضى الله عنه لما طول فى صلاة الفجر وقرأ بالبقرة

---

(١) هو - بفتح السين المهملة والباء الموحدة - جمع سبرة بسكون الباء وهى شدة البرد وسيفسرها المصنف بعد بذلك

(٢) الغلس ظلمة آخر الليل اذا اختلطت بضوء الصباح ، والتغليس التأخير الى هذا الوقت (٣) يقال : اسفر الصبح اذا انكشف وأضاء ، والاسفار التأخير الى هذا الوقت

(٤) اصطلاح علماء الحنابلة فى كتبهم اذا اطلق القاضى ينصرف الى علامة زمانه محمد بن الحسين بن محمد بن خلف الفراء المعروف بابى يعلى المتوفى سنة ٤٥٨ هـ

فقيل له كادت الشمس أن تطلع فقال : لو طلعت لم تجدنا غافلين ،فان أبا بكر رضى الله عنه لم يتعمد التأخير الى طلوع الشمس ولا أن يمدها ويطيلها حتى تطلع الشمس لأنه دخل فيها بغلس وأطال القراءة وربما كان قد استغرق فى تلاوته فلو طلعت الشمس حينئذ لم يضره لأنه لم يكن متعمداً لذلك ، وهذا يدل على أنه كان يرى (١) صحة الصلاة لمن طلعت عليه الشمس وهو فى صلاته لما أمر النبى ﷺ من طلعت عليه الشمس- وقد صلى ركعة من الفجر -أن يضيف اليها أخرى *

وفى حديث معاذ دليل على أن من رأى رؤيا تسره فانه يقصها على أصحابه واخوانه المحبين له ولاسيما إن تضمنت رؤياه بشارة لهم (٢) وتعليما لما ينفعهم وقد كان النبى ﷺ اذا صلى الفجر يقول لأصحابه :

---

(١) فى النسخة النورية « كان يومىء الى صحة الصلاة » (٢) وذلك ليجلب السرور لاخوانه ولاسيما اذا تعلقت الرؤيا بهم فتكون نواة للأعمال وتتجسم بالتكرار والتمرين فانه متى ابتدأ بالقول يتسرب الى نفسه سرور أصحابه فيجد بعض مايحسون به فيقدم على عمل ماينفعهم كما يعمل لنفسه، وهذا ماأشار اليه حديث أنس قال : قال ﷺ : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه» رواه البخارى .ومسلم فكان ﷺ يريد أن يدخل المسلمون الفرح على بعضهم ولو بالشىء الصغير أو بمجرد القول فليس كل أحد يقدر أن يسر اخوانه بعمله بل بعضهم ليس محتاجا الى عمل يفرح به مما يتعلق بالحياة الدنيا فاذا بشره برؤياه فانه يهش لذلك ويبدى الشكر العظيم فلا ينبغى للانسان أن يحتقر أى شىء كان حتى ولو كان رؤيا، ولهذا كان يقول ﷺ لأصحابه : « من منكم رأى » ؟ ليفرح الذى لايجد مايتقدم به الا مثل هذا فيحق له أن يشترك معهم فى البحث والمسرات *

« من رأى منكم الليلة رؤيا » (١) وفيه أيضا أن من استثقل نومه فى تهجده بالليل حتى رأى رؤيا تسره فان فى ذلك بشرى له ، وفى مراسيل الحسن « اذا نام العبد وهو ساجد باهى الله الملائكة يقول : يا ملائكتى انظروا الى عبدى جسده فى طاعتى وروحه عندى » ، وفيه دلالة على شرف النبى ﷺ وتفضيله بتعليمه ما فى السموات والأرض وتجلى ذلك له مما تختصم فيه الملائكة فى السماء وغير ذلك كما أرى ابراهيم ملكوت السموات ، وقد ورد فى غير حديث مرفوعا وموقوفا أنه ﷺ أعطى علم كل شىء خلا مفاتيح الغيب الخمس التى اختص الله عز وجل بعلمها ، وهى المذكورة فى قوله عز وجل : (إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الأرحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس باى أرض تموت إن الله عليم خبير) .

وأما وصف النبى ﷺ لربه عز وجل بما وصفه به فكل ما وصف النبى ﷺ ربه عز وجل به فهو حق وصدق يجب الايمان والتصديق به كما وصف الله عز وجل به نفسه مع نفى التمثيل عنه ومن أشكل عليه فهم شىء من ذلك واشتبه عليه فليقل كما مدح الله تعالى به الراسخين فى العلم وأخبر

---

(١) هو فى صحيح البخارى ج ٩ ص ٨٠ وغيره من كتب السنة قال المهلب : تعبير الرؤيا عند صلاة الصبح أولى من غيره من الأوقات لحفظ صاحبها لها لقرب عهده بها وقبل ما يعرض له نسيانها ، ولحضور ذهن العابر وقلة شغله بالفكرة فيما يتعلق بمعاشه ، وليعرف الرائى ما يعرض له بسبب رؤياه فيستبشر بالخير ويحذر من الشر ويتأهب لذلك فربما كان فى الرؤيا تحذير عن معصية فيكف عنها وربما كانت انذارا لأمر فيكون له مترقبا ، فهذه عدة فوائد لتعبير الرؤيا أول النهار ، والله أعلم .

عنهم أنهم يقولون عند المتشابه (آمنا به كل من عند ربنا) وكما قال النبي ﷺ في القرآن: «وماجهلتم منه فكلوه إلى عالمه» خرجه الامام أحمد والنسائي. وغيرهما، ولايتكلف مالا علم له به فانه يخشى عليه من ذلك الهلكة (١) *

سمع ابن عباس يوما من يروى عن النبي ﷺ شيئا من هذه الأحاديث فانتفض رجل استنكارا لذلك فقال ابن عباس: مافرق هؤلاء يحدون

---

(١) يشير الى الاعتراض على مذهب المتأخرين من تأويل الآيات المتشابهات وحملها على مالم يصف الله به نفسه كاليد على القدرة مثلا مع أنهم يدعون أن معتصمهم ومستندهم في مذهب التأويل آية «ليس كمثله شيء» فمذهب المتأخرين - على اعتقادهم - هو عبارة عن تبيان ما أجمله مذهب المتقدمين وذلك ان علماء السلف يقولون: يد لانعلمها بحيث تليق بالله تعالى فاذن لم يبقوا اللفظ على اطلاقه فلم يقولوا باستعماله بالكيفية التي جاء فيها ظاهرا أي بالشكل الذي يؤديه المعنى الظاهر وانما قالوا هو مؤول لكنا لانعلم التأويل، وأما نحن المتأخرين فان الجهمية والمجسمة والحلولية وسائر فرق الضلالة الذين يلعبون بافكار العوام ويفسدون معتقداتهم هم الذين أجبرونا أن نصرف الألفاظ الى الصفات التي ذكرها الله في كتابه واختصها لنفسه حفظا للمعتقدات من الزيغ، وعليه فلا خلاف بين مذهب السلف والخلف في نظرهم وكلاهما مؤول وكل يتكلم حسب انتشار الضلالة في زمانه هكذا يزعمون، ولو تأمل المتأمل لرأى أن المتأخرين لما أولوا اليد بالقدرة احتاجوا أن يؤولوا قوله تعالى: (بل يداه مبسوطتان) فرجعوا الى مافروا منه، ولا شبهة في أن مذهب السلف في قولهم يدلا كالأيدي ليس بتأويل وانما اخبار بالحقيقة لأن صفات الباري تعالى كلها كذلك كما اخبر ليس كمثله شيء *

رقة عند محكمه ويهلكون عند متشابهه » خرجه عبدالرزاق فى كتابه عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس رضى الله عنهما كلما سمع المؤمنون شيئا من هذا الكلام قالوا : هذا ماأخبرنا الله ورسوله (وصدق الله ورسوله ومازادهم الا ايمانا وتسليما) ٠

وفيه دلالة على أن الملأ الأعلى وهم الملائكة أو المقربون منهم يختصمون فيما بينهم ويتراجعون القول فى الأعمال التى تقرب بنى آدم الى الله عز وجل وتكفرها عنهم خطاياهم ٠ وقد أخبر الله عنهم بأنهم يستغفرون للذين آمنوا ويدعون لهم ٠ وفى الحديث الصحيح « إن الله اذا أحب عبدا نادى إنى أحب فلانا فأحبه فيحبه جبريل ثم ينادى فى السماء أن الله يحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول فى الأرض » ٠

وقال أبو هريرة رضى الله عنه : اذا مات ابن آدم قال الناس : ماخلف وقالت الملائكة : ماقدم (١) فالملائكة يسألون عن أعمال بنى آدم ولهم اعتناء بذلك واهتمام به وبقى الكلام على المقصود من الحديث وهو ذكر الكفارات والدرجات والدعوات ونعقد لكل واحدة منها فصلا مفرداً ٠

---

(١) والسبب فى هذا السؤال أن الملائكة لايعصون الله لفقدهم الشهوة والطمع لذلك لايعرفون الأمل ولايعلمون الا الشىء الواقع فيسألون عما قدم الشخص فى حياته . أما الانسان فلما كانت حياته مبنية على الاجتماع لكثرة احتياجه فهو يسأل عما خلف أخوه المسلم لتعلقه به ولو من حيث التعارف مع ابنائه لاسيما ان كان خلفه صالحا فيرجو السائل له الخير لما يأمله من حصول مايعود على والده من النفع له لأن غالب السائلين يكونون من الأصدقاء وذوى العلاقة فهم يطمعون أن تزيد حسناته بعد موته اذا

﴿الفصل الأول فى ذكر الكفارات﴾

وهو اسباغ الوضوء فى المكريهات . ونقل الأقدام الى الجمعات أو الجماعات . والجلوس فى المساجد بعد الصلوات وسميت هذه كفارات لأنها تكفر الخطايا والسيئات ولذلك جاء فى بعض الروايات « من فعل ذلك عاش بخير ومات بخير وكان من خطيئته كيوم ولدته أمه » (١) وهذه

كانت غير وافية فى حياته مؤملين ذلك من حديث أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعوله » وقال تعالى : (قل كل يعمل على شاكلته) ويبحث عما يمسه أو يرجى أن يكون له به علاقة وهذا هو سر قول الناس عمن مات : ماذا خلف ؟ »

(١) لما تشتمل عليه الصلاة من الخضوع لله تعالى والانابة اليه والتوبة من الاعمال السيئة فان من صدق فى هذا الموقف العظيم ليس بكثير ان تغفر خطاياه الماضية ولا يستطيع ان يصدر خطايا مادام يعمل انه بعد سويعات يقف امام الحاكم العدل ويعرض اعماله جديدة على المحكمة الالهية على من لا تخفى عليه خافية الا ان يكون ممن اتخذ الصلاة عادة او انه لا يفقه حكمتها بأكثر من الوقوف والركوع والسجود وهذه ليست الصلاة الحقيقية لان الصلاة وصفها الله تعالى بقوله : (وانها لكبيرة الا على الخاشعين) والقيام والقعود والسجود ليس بالأمر الكبير فترى الأطفال الصغار فى لعبهم يفعلون حركات تزيد على اعمال المصلى أضعافا مضاعفة ولا تعدها بالأمر الكبير والا فان الصلاة الصادقة تكفر الخطايا لما ينتج عنها من حسن النية واستقامة الاعمال والتباعد عن كل المنهيات لانه ثمرة الصلاة كما قال تعالى : (ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) فكل ما ورد بحق الصلاة من

الخصال المذكورة الأغلب عليها تكفير السيئات ويحصل بها أيضا رفع الدرجات كما فى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: « ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟ قالوا: بلى يارسول الله قال: اسباغ الوضوء على المكاره. وكثرة الخطا إلى المساجد. وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط » (١)

وقد روى هذا المعنى عن النبى ﷺ من وجوه متعددة فهذه ثلاثة أسباب يكفر الله بها الذنوب. أحدها الوضوء وقد دل القرآن على تكفيره الذنوب فى قوله عز وجل: (يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برءوسكم وأرجلكم إلى الكعبين) الى قوله: (مايريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم) فقوله تعالى: (ليطهركم) يشمل طهارة ظاهر البدن بالماء وطهارة الباطن من الذنوب والخطايا ، وإتمام النعمة إنما يحصل بمغفرة الذنوب وتكفيرها كما قال تعالى لنبيه ﷺ: (ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وماتأخر ويتم نعمته عليك) وقد استنبط هذا المعنى محمد بن كعب القرظى ويشهد له الحديث الذى خرجه الترمذى وغيره عن معاذ « أن النبى ﷺ سمع رجلا يدعو يقول اللهم انى أسالك تمام النعمة فقال له اتدرى ماتمام النعمة ؟ قال : دعوة دعوت بها أرجو بها الخير فقال النبى ﷺ : إن

غفران الذنوب ورفع الدرجات فهو خاص بالصلاة التى ذكرها الله بانها كبيرة وانها تنهى عن الفحشاء والمنكر وعليه فان مايوصل الى هذه الثمرة الجيدة والعمل الصالح لايستغرب ان يكون سبباً لكل شرف وفخر فى الدنيا والآخرة ان شاء الله تعالى *

(١) فى صحيح مسلم ج ١ ص ٨٦ بدون تكرار جملة « فذلكم الرباط »

تمام النعمة النجاة من النار ودخول الجنة » فلا تتم نعمة الله على عبده إلا بتكفير سيئاته (١) *

وقد تكاثرت النصوص عن النبي ﷺ بتكفير الخطايا بالوضوء كما فى صحيح مسلم عن عثمان رضى الله عنه « أنه توضأ ثم قال رأيت رسول الله ﷺ توضأ مثل وضوئى هذا ثم قال: «من توضأ هكذا غفر له (٢) ماتقدم

(١) وذلك لان نعم الله على عبده فى الدنيا كثيرة كما قال تعالى (وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها) فتمام هذه النعم ان يحوله الى دار نعيمها لايزول خالدا فيها ابداً وذلك بصرفه عن النار التى قال تعالى: (وان منكم الاواردها) وبدخوله الجنة لأن اعمال الانسان لاتكافى جزأ من النعم التى يجب لله على عبده ان يؤديه الشكر والحمد عليها فتبقى السيئات محتاجة إلى التكفير، وهذا مايترشح من حديث ابى هريرة كما فى صحيح البخارى « ان يدخل احداً عمله الجنة قالوا ولاانت يارسول الله قال ولاانا إلاأن يتغمدنى الله بفضل رحمته»

(٢) ذكر الامام النووى فى شرحه على مسلم مانصه وقد يقال اذا كفر الوضوء فاذا تكفر الصلاة ؟ واذا كفرت الصلاة فماذا تكفر الجمعات ورمضان؟ وكذلك صوم يوم عرفة كفارة سنتين ويوم عاشوراء كفارة سنة واذا وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ماتقدم من ذنبه ، والجواب ماأجاب العلماء ان كل واحد من هذه المذكورات صالح للتكفير فان وجد مايكفره من الصغائر كفره وان لم يصادف صغيرة ولا كبيرة كتبت به حسنات ورفعت به درجات وان صادف كبيرة اوكبائر ولم يصادف صغيرة رجونا ان يخفف من الكبائر والله اعلم اه بالحرف، وليس غفران الذنوب بالامر الشاق على كرم الله تعالى ورحمته تجاه عبد ادرك حقيقة الوضوء

من ذنبه وكانت صلاته ومشيه إلى المسجد نافلة » * وفيه ايضا عن النبي ﷺ قال: «من توضا فاحسن الوضوء خرجت خطاياه من جسده حتى تخرج من تحت أظفاره » (١) ٥ وفيه أيضاً عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: « إذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر اليها بعينيه مع الماء أو مع آخر قطر الماء فاذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة بطشتها يداه مع الماء أو مع آخر قطر الماء فاذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء أو مع آخر قطر الماء حتى يخرج نقيا من الذنوب » (٢) ٥ وفيه ايضا عن عمرو بن عبسة عن النبي ﷺ قال: « مامنكم من رجل (٣) يقرب وضوءه فيمضمض ويستنشق فينتثر إلا خرجت خطايا وجهه وفيه وخياشيمه ثم إذا غسل

والصلاة وجاء مستسلماً ليقف بين يدي ربه طائعا اليه تائباً من ذنوبه جازما بتادية ماعليه من الحقوق فان تلك الوقفة مهولة جداً قد تكون سبب تلفه لو ادرك خطورة الحال وعرض ذنوبه فان الجارى بين الناس ان بعض الوجهاء وذوى الحيثية اذا اهين وسردت اعماله الخبيثة على ملأ من الناس قد يسوقه التأثر الى ان تخرج روحه ويموت فى مجلسه فما بالك بمن يقف امام الله وعن يمينه ملائكة تشهد عليه وتكتب ماقال وماعمل فهل يتصور ان يصر على ذنوبه ام يتوب توبة نصوحا؟ والى هذا الحال اومأت آية (ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) فليس كثيراً على من بلغ به الخوف من مقام ربه الى هذه الدرجة ان تخرج ذنوبه من تحت اظفاره حتى لم يبق منها شيء اصلا ٥ (١) هو فى صحيح مسلم ج ١ ص ٨٥ (٢) هو فى صحيح مسلم ج ١ ص ٨٥ (٣) فى صحيح مسلم ج ١ ص ٢٢٩ ، مامنكم رجل ، باسقاط لفظ «من» وفى مسند الامام احمد ج ٤ ص ١١٢ ، مامنكم من احد ،

وجهه كما أمره الله إلا خرجت خطايا وجهه من أطراف لحيته مع الماء ثم يغسل يديه إلى المرفقين إلا خرجت خطايا يديه من أنامله مع الماء ثم يمسح رأسه إلا خرجت خطايا رأسه من أطراف شعره مع الماء ثم يغسل قدميه إلى الكعبين إلا خرجت خطايا رجليه من أنامله مع الماء فان هو قام فصلى فحمد الله وأثنى عليه ومجده بالذى هو له اهل وفرغ قلبه لله إلا انصرف من خطيئته كهيئته يوم ولدته أمه » (١) وفى الموطأ . ومسند الامام أحمد . وسنن النسائى . وابن ماجه عن الصنابحى عن النبى ﷺ قال : « اذا توضأ العبد المؤمن فمضمض خرجت الخطايا من فيه فاذا استنشق (٢) خرجت الخطايا من أنفه فاذا غسل وجهه خرجت الخطايا من وجهه حتى تخرج من تحت أشفار عينيه فاذا غسل يديه خرجت الخطايا من يديه حتى تخرج من تحت أظفار يديه فاذا مسح برأسه خرجت الخطايا من رأسه حتى تخرج من أذنيه فاذا غسل رجليه خرجت الخطايا من رجليه حتى تخرج من تحت أظفار رجليه ثم كان مشيه الى المسجد وصلاته نافلة [له] (٣) »

وفى المسند عن أبى أمامة عن النبى ﷺ قال : « ما من مسلم يتوضأ فيغسل يديه ويمضمض فاه ويتوضأ كما أمر الا حط الله عنه يومئذ ما نطق به فمه وما مس بيده وما مشى اليه حتى أن الخطايا تحادر من أطرافه ثم هو

---

(١) هو فى صحيح مسلم ج ١ ص ٢٢٩ مطولا جدا اختصره المصنف واقتصر على محل الشاهد منه ، وقوله « خرجت » فى مسلم « خرت » بدل خرجت فى الكل تنبه .

(٢) فى سنن النسائى ج ١ ص ٧٤ فاذا استنثر ، وفى مسند الامام أحمد ج ٤ ص ٣٤٩ اذا توضا العبد فمضمض خرجت الخطايا من أنفه وهو غلط لان الخطايا تخرج من الفم اذا تمضمض لا من أنفه وبهذا تعلم ان فيه سقطا وصوابه كما هنا تنبه

(٣) الزيادة من مسند الامام أحمد

اذا مشى الى المسجد فرجل تكتب حسنة وأخرى تمحو سيئة » * وفيه أيضا عن النبي ﷺ قال : « أيما رجل قام الى وضوئه يريد الصلاة ثم غسل كفيه نزلت خطيئته من كفيه مع أول قطرة فاذامضمض واستنشق واستنثر نزلت خطيئته من لسانه وشفتيه مع أول قطرة فاذا غسل وجهه نزلت خطيئته من سمعه وبصره مع أول قطرة فاذا غسل يديه الى المرفقين ورجليه الى الكعبين سلم من كل ذنب هو له وكان(١) من كل خطيئة كهيئته يوم ولدته أمه فاذا قام الى الصلاة رفع الله درجته وان قعد قعد سالما » * وفى المعنى أحاديث أخر وفيما ذكرناه كفاية [ولله الحمد والمنة] (٢) *

وقد وردت النصوص أيضا بحصول الثواب على الوضوء وهذا زيادة على تكفير السيئات ففى صحيح مسلم عن عمر رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : « من توضأ فأحسن الوضوء ثم قال أشهد أن لا إله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء» (٣) * وفيه أيضا عن

---

(١) فى المسند ج ٥ ص ٢٦٣ سقط لفظ « وكان » (٢) الزيادة من النسخة النجدية

(٣) فى صحيح مسلم ج ١ ص ٨٣ اختلاف فى بعض الألفاظ وزيادة ولعل المصنف أدخل رواية فى رواية وأتى بمحصلهما واقتصر على محل الشاهد وهو فى سنن النسائى ج ١ ص ٩٣ بهذا اللفظ بدون زيادة ولا نقصان وقوله : « يدخل من أيها شاء » هذا على حسب همته ودرجة قائليه وشدة اكتراثه بالوضوء وشغفه بالوصول الى الله حين وقوفه أمامه وهيبته من العرض وكشف أعماله التى لا تخفى على الله بل قد يطلع عليه الملائكة الحفظة والكرام الكاتبون *

ابى هريرة عن النبى ﷺ [يقول] (١) : « تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء » (٢) وفيه أيضا عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : « أنتم الغر المحجلون [يوم القيامة] (٣) من إسباغ الوضوء » * وخرجه البخارى ولفظه « أن أمتى يدعون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء » (٤) *

واعلم أن حديث معاذ بن جبل فى المنام انما فيه ذكر اسباغ الوضوء على المكروهات : وكذا فى حديث أبى هريرة المبدوء بذكره فى هذا الفصل فهنا أمران .أحدهما اسباغ الوضوء وهو اتمامه وابلاغه مواضعه الشرعية كالثوب السابغ المغطى للبدن كله * وفى مسند البزار عن عثمان مرفوعا « من توضأ فأسبغ الوضوء غفر له ماتقدم من ذنبه وماتأخر » واسناده

---

(١) الزيادة من صحيح مسلم (٢) هو فى صحيح مسلم ج ١ ص ٨٦ مطولا وأراد بالحلية النور الذى يظهر عليه من آثار الوضوء ، والوضوء بفتح الواو مايتوضأ به ، والمعنى أن اهتمام الشخص فى الوضوء واعتباره أهبة للتقدم امام خالق الأرض والسموات يتوب من زلالته ويستزيد التوفيق والخيرات كمثل الحلى فهو يتفاوت بالاتقان والاجادة فكما أن الحلى تتضاعف قيمته باتقانه حتى ولو كان من غير النقدين فان بعض القطع النحاسية لو أتقن نقشها وأجيدت صنعتها لزادت على قيمة النقدين فاذا كانت من الذهب زادت اضعافا مضاعفة وكذلك الوضوء حلية المؤمن وسلاحه كما فى الحديث الآخر فعلى حسب نيته واخلاصه ينال الأجر العظيم والمكافأة الجزيلة فى الدنيا والآخرة *

(٣) الزيادة من صحيح مسلم والحديث مطول اختصره المصنف

(٤) هو فى صحيح البخارى ج ١ ص ٧٦ بزيادة فى أوله وآخره *

لا بأس به ، وخرجه ابن أبي عاصم من وجه آخر عن عثمان ، وخرج النسائي وابن ماجه من حديث أبي مالك الأشعري عن النبي ﷺ قال: « اسباغ الوضوء شطر الايمان » وخرجه مسلم ولفظه « الطهور شطر الايمان » (١) .

وثانيهما أن يكون اسباغه على المكريهات، والمراد أن يكون على حالة تكره النفس فيها الوضوء وقد فسر بحال نزول المصائب فان النفس حينئذ تطلب الجزع فالاشتغال عنه بالصبر والمبادرة الى الوضوء والصلاة من علامة الايمان كما قال عز وجل : (استعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الا على الخاشعين) . وقال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين) . والوضوء مفتاح الصلاة وقد يطفأ به حرارة القلب الناشئة عن ألم المصائب كما يؤمر من غضب باطفاء غضبه بالوضوء ، وفسرت المكريهات بالبرد الشديد ويشهد له أن في بعض روايات حديث معاذ « إسباغ الوضوء على السبرات » والسبرة شدة البرد : ولاريب أن اسباغ الوضوء في شدة البرد يشق على النفس وتتألم به وكل ما يؤلم النفس ويشق عليها فانه كفارة للذنوب وان لم يكن للانسان

---

(١) هو في صحيح مسلم ج ١ ص ٨٠ من حديث طويل ، وأصل الشطر النصف واختلف في معناه هنا ، ولما كانت الصلاة متوقفة عليه والصلاة شطر من الايمان على مذهب المحدثين وكثير من الأئمة وأهل الكلام الذين يقولون الايمان تصديق بالجنان وقول باللسان وعمل بالأركان ولاسيما الحنابلة فقد نص مذهبهم على أن حد تارك الصلاة كسلا أن يقتل كفرا لافرق بينه وبين المرتد فلا يصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين جعل شطرا من الايمان والله أعلم .

فيه صنع ولا تسبب كالمرض ونحوه كما دلت النصوص الكثيرة على ذلك *

(وأما) ان كان ناشئا عن فعل هو طاعة لله تعالى فانه يكتب لصاحبه به أجر وترفع به درجاته كالألم الحاصل للمجاهد فى سبيل الله تعالى قال الله عز وجل : (ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة فى سبيل الله ولا يطئون موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا إلا كتب لهم به عمل صالح ان الله لا يضيع أجر المحسنين) وكذلك ألم الجوع والعطش الذى يحصل للصائم فكذا التألم باسباغ الوضوء فى البرد ويجب الصبر على الالم بذلك فان حصل به رضى فذلك مقام خواص العارفين المحبين وينشأ الرضى بذلك عن ملاحظة أمور *

أحدها تذكر فضل الوضوء من حطه للخطايا ورفعه للدرجات وحصول الغرة والتحجيل به وبلوغ الحلية فى الجنة الى حيث يبلغ وهذا لما انكسر ظفر بعض الصالحات من السلف من عثرة عثرتها فضحكت وقالت: أنسانى حلاوة ثوابه مرارة وجعه * وقال بعض العارفين: من لم يعرف ثواب الأعمال ثقلت عليه فى جميع الأحوال *

الثانى تذكر ما أعده الله عز وجل لمن عصاه من العذاب بالبرد والزمهرير فى الآخرة فان شدة برد الدنيا يذكر زمهرير جهنم ، وفى الحديث الصحيح « إن أشد ما تجدون من البرد من زمهرير جهنم » فلاحظة هذا الألم الموعود يهون الاحساس بألم برد الماء كما روى عن زيد اليامى (١) أنه قام ليلة للتهجد وكان البرد شديداً فلما ادخل يده فى الاناء وجد شدة

---

(١) هو بموحدة مصغرا ، واليامى منسوب الى يام بطن من همدان ، وفى النسخة النورية « زيد اليامى » وهو غلط فى الاسم صحيح فى النسبة ، وفى النسخة النجدية « زبيد اليامى » وهو صحيح فى الاسم غلط فى النسبة

برده فذكر زمهرير جهنم فلم يشعر ببرد الماء بعد ذلك وبقيت يده فى الماء حتى أصبح فقالت له جاريته : مالك لم تصل الليلة كما كنت تصلى؟ فقال : انى لما وجدت شدة برد الماء ذكرت زمهرير جهنم فما شعرت به حتى اصبحت فلا تخبرى بهذا أحدا مادمت حيا *

الثالث ملاحظة جلال من أمر بالوضوء ومطالعة عظمته وكبريائه وتذكر التهيؤ للقيام بين يديه ومناجاته فى الصلاة فذلك يهون كل ألم ينال العبد فى طلب مرضاته من برد الماء وغيره وربما لم يشعر بالماء بالكلية كما قال بعض العارفين : بالمعرفة هانت على العاملين العبادة * قال سعيد بن عامر : بلغنى أن ابراهيم الخليل ﷺ كان اذا توضأ سمع لعظامه قعقعة * وكان على ابن الحسين اذا توضأ اصفر فيقال له ماهذا الذى يعتريك عند الوضوء ؟ فيقول : أتدرون بين يدى من أريد أن أقوم له؟ (١) وكان منصور بن زاذان اذا فرغ من وضوئه يبكى حتى يرتفع صوته فقيل له ماشأنك ؟ فقال : وأى شىء أعظم من شأنى أنى أريد أن أقوم بين يدى من لا تأخذه سنة ولا نوم فلعله يرضى عنى * وكان عطاء السلمى اذا فرغ من وضوئه ارتعد وانتفض وبكى بكاء شديدا فقيل له فى ذلك فقال : انى أريد أن أتقدم الى أمر عظيم انى أريد أن أقوم بين يدى الله عز وجل *

الرابع استحضار اطلاع الله عز وجل على عبده فى حال العمل له وتحمل المشاق لأجله فمن تيقن أن البلاء بعين (٢) من يحبه هان عليه الألم كما أشار

---

(١) لاشك أن مثل هذه الفكرة وحصول هذه الهيبة من الوقوف أمام رب الارباب يذيب السيآت ويجعلها حسنات (فأولئك يبدل الله سيآتهم حسنات)

(٢) اى بمشاهدته واطلاعه كأنه يراه بعينه ولذلك يشتاق لذلك الامر وان كان يشق على نفسه تحمل مثله لو كان من غير المحبوب ولاريب ان هذا يتفاوت فكلما ازداد الحب

تعالى الى ذلك بقوله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم: (واصبر لحكم ربك فانك باعيننا) وقوله تعالى لموسى وهرون عليهما السلام: (لاتخافا انني معكما أسمع وأرى) وقال صلى الله عليه وسلم: «اعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك» قال أبو سليمان: قرأت في بعض الكتب يقول الله عز وجل: بعيني ماتحمل المتحملون من اجلي وكابد المكابدون في طلب مرضاتي فكيف بهم وقد صاروا في جواري وتبحبحوا في رياض خلدي؟ فهنالك فليستبشر المصفون لله أعمالهم بالمنظر العجيب من الحبيب القريب أترون أني أضيع لهم عملا فكيف وأنا أجود على المولين عني فكيف بالمقبلين الي؟

فاسباغ الوضوء في البرد لاسيما في الليل يطلع الله عليه ويرضى به ويباهي به الملائكة فاستحضار ذلك يهون ألم برد الماء وفي المسند. وصحيح ابن حبان عن عقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: رجلان من أمتي يقوم أحدهما من الليل (١) يعالج نفسه الى الطهور وعليه عقد (٢) فيتوضأ فاذا وضأ يديه انحلت عقدة واذا وضأ وجهه انحلت عقدة واذا مسح رأسه (٣) انحلت عقدة واذا وضأ رجليه انحلت عقدة فيقول الرب (٤) عز وجل للذي وراء الحجاب: انظروا الى عبدي هذا يعالج نفسه [يسألني] (٥) ماسألني عبدي

والعشق فانه لايرى شيئا منكراً اوصعبا مهما عظم مادام يصدر من محبوبه «كل مافعله المحبوب محبوب» وقد يبلغ منه الوله الى درجة انه يستعذب ذلك العذاب ويراه امراً نافعا فمنذ ادائه يظهر مقدرته في اتقانه واظهار الاخلاص والرضا عنه وهذا هو الحب الحقيقي الذي من اتصف به شعر بكونه ممن قال فيهم (يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان)

(١) في المسند ج ٣ ص ٢٠١ سقط لفظ «من» (٢) في المسند «وعليه عقدة»
(٣) في المسند «برأسه» وهو موافق لنظم القرآن (٤) في المسند «فيقول الله» بدل الرب
(٥) الزيادة من المسند ج ٣ ص ٢٠١ .

هذا فهوله » وذكر بقية الحديث (١) * وروى عن عطية عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم « ان الله يضحك الى ثلاثة نفر رجل قام من جوف الليل فأحسن الطهور فصلى » وذكر الحديث * كان بعض السلف له ورد بالليل ففتر عنه فهتف به هاتف ينظر الله فى الليل لما يصنع خدامه اذا قاموا أوحشتهم (٢) على الخدمة أحكامه *

الخامس الاستغراق فى محبة من أمر بهذه الطاعة وأنه يرضى بها ويحبها كما قال تعالى : (ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين) فمن امتلأ قلبه من محبـــة الله عز وجل أحب مايحبه وإن شق على النفس وتألمت به كما يقال المحبة تهون الاثقال * وقال بعض السلف فى مرضه أحبه الى احبه اليه * وكما قيل * فمالجرح اذا أرضاكم ألم (٣) * وكما قيل أيضاً :

---

(١) ليس للحديث بقية فى المسند *

(٢) كذا بالاصل بالشين ولعله بالثاء المثلثة وحذف أو من الحث ليكون العمل مدفوعا بشيء اما قياما لا لعلة وهذا هو التوحيد الصرف بان يعبد الله لذاته اوان احكام الله تحثه على العمل وتلك الاحكام اما النار فيخشاها او الجنة فيطمع فيها ويرضاها *

(٣) هذا عجز بيت لابى الطيب المتنبي وصدره *

ان كان سركم ماقال حاسدنا فمالجرح اذا ارضاكم ألم

قال العلامة الواحدى فى شرحه : يقول ان سررتم بقول حاسدنا وطعنه فينا فقد رضينا بذلك ان كان لكم به سرور فان جرحا يرضيكم لم نجد لذلك الجرح الما ، وهذا من قول منصور الفقيه :

سررت لهجرك لما علمت بأن لقلبك فيه سروراً
ولولا سرورك ماسرنى ولا كنت يوما عليه صبورا
لانى أرى كل ماساءنى اذا كان يرضيك سهلا يسيرا

فى حبكم يهون ماقد ألقى يسعد بالنعيم من لايشقى

من خدم من يحب تلذذ بشقائه فى خدمته * وقال بعضهم: القلب المحب لله يحب النصب (١) له وقال عبد الصمد: أوجد لهم فى عذابه عذوبة. اسباغ الوضوء على المكاره من علامات المحبين كما فى كتاب الزهد للامام أحمد عن عطاء بن يسار قال: قال موسى عليه السلام: يارب من أهلك الذين هم أهلك الذين تظلهم فى ظل عرشك؟ قال: هم البريئة ايدانهم الطاهرة قلوبهم الذين يتحابون بجلالى الذين اذا ذكرت ذكروا بى واذا ذكروا ذكرت بذكرهم الذين يسبغون الوضوء فى المكاره وينيبون الى ذكرى كما تنيب النسور الى أوكارها ويكلفون بحبى كما يكلف الصبى بحب الناس ويغضبون لمحارمى إذا استحلت كما يغضب النمر إذا حرب (٢) * وقد يخرق الله العادة لبعض المحبين له فلا يجد ألم برد الماء كما كان بعض السلف قد دعا الله أن يهون عليه الطهور فى الشتاء فكان يؤتى بالماء وله بخار، وربما سلب بعضهم الاحساس فى الحر والبرد مطلقا ، وكان على بن أبى طالب رضى الله عنه قد دعا له النبى ﷺ أن يذهب الله عنه الحر والبرد فكان يلبس فى الصيف لباس الشتاء وفى الشتاء لباس الصيف وقال النبى ﷺ فيه: «إنه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله» * ورأى أبو سليمان الدارانى فى طريق الحج فى شدة برد الشتاء شيخاً عليه أخلاق رثة وهو يرشح عرقاً فسأله عن حاله فقال إنما الحر والبرد خلقان لله عز وجل فان أمرهما أن يغشياني أصابانى وإن أمرهما أن يتركانى تركانى ، وقال: أنا فى هذه البرية

---

(١) اى التعب ليكون ادل على اخلاصه واثبت على قربه من محبوبه الذى يرجو ان يعطف عليه ويخفف عناء التعب بما يأمله من الوصال والرضاء

(٢) كفرح أى طلب واشتد غضبه وأكثر مايكون ذلك منه اذا مس من ورائه وفى الامثال هو أحمى من أست النمر

منذ ثلاثين سنة يلبسنى فى البرد فيحا من محبته ويلبسنى فى الصيف برداً من محبته ، وقيل لآخر وعليه خرقتان فى برد شديد لو استترت فى موضع يكنك من البرد فأنشد :

ويحسن ظنى أننى فى فنائه وهل أحد فى كنه يجد البردا

﴿السبب الثانى﴾ من مكفرات الذنوب المشى على الأقدام إلى الجماعات وإلى الجمعات ولاسيما إن توضأ الرجل فى بيته ثم خرج الى المسجد لا يريد بخروجه إلا الصلاة فيه كما فى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «صلاة الرجل فى الجماعة تضعف على صلاته فى بيته وفى سوقه خمسا وعشرين ضعفا ، وذلك أنه اذا توضأ فأحسن الوضوء ثم خرج الى المسجد لا يخرجه الا الصلاة لم يخط خطوة الا رفعت له بها درجة وحط عنه بها خطيئة فاذا صلى لم تزل الملائكة تصلى عليه مادام فى مصلاه اللهم صل عليه اللهم ارحمه ولا يزال أحدكم فى صلاة ما انتظر الصلاة » (١) وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: «من تطهر فى بيته ثم مشى الى بيت من بيوت الله ليقضى فريضة من فرائض الله كانت خطوتاه إحداهما تحط خطيئة والأخرى ترفع درجة» (٢) * وفى الصحيحين عن أبى

---

(١) هو فى صحيح البخارى ج ١ ص ٢٦٣ بهذا اللفظ ، وفى صحيح مسلم ج ١ ص ١٨٤ بالفاظ قريبة من هذه

(٢) هو فى صحيح مسلم ج ١ ص ١٨٥ بيان ذلك أن الفروض الخمسة التى بنى الاسلام عليها لها جهتان ، جهة الفرضية وهذه لابد من أدائها منفردا أو مع جماعة ، وجهة كونها شعيرة من شعائر الاسلام وهذه ينبغى أن تكون فى جماعة فاذا مشى الى المسجد كانت خطاه داعية لغيره من المسلمين الى الصلاة لهذا يثاب فى كل خطوة يخطوها فان الاجتماع مطلوب

هريرة عن النبي ﷺ قال : « كل خطوة تمشيها الى الصلاة صدقة » وفى المسند وصحيح ابن حبان عن عقبة بن عامر عن النبي ﷺ قال : « اذا تطهر الرجل ثم أتى المسجد يرعى الصلاة كتب له كاتباه بكل خطوة يخطوها الى المسجد عشر حسنات » وفيهما أيضا عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال : « من راح الى مسجد جماعة فخطوتاه خطوة تمحو سيئة وخطوة تكتب حسنة ذاهبا وراجعا » وفى سنن أبى داود عن أبى أمامة عن النبي ﷺ قال: « من خرج من بيته متطهراً الى صلاة مكتوبة فأجره كأجر الحاج المحرم »(١) وفيه أيضا عن رجل من الأنصار عن النبي ﷺ قال: « من

مثل طلب العبادة ذاتها لأن الديانة الاسلامية اعتقادية وعملية تنظر الى المجموع نظرها الى الفرد فكل ما فيه فائدة تعود الى المسلمين فانه عبادة أو من اشرف العبادات وأكملها فترى الشارع فى جعل صلاة الجماعة تعدل صلاة الفذ - أى المنفرد بخمس - وعشرين درجة لما يحصل فيها من الفوائد التى تعود على الجماعة من اعلان شعائر الله وترغيب غيره لمثل هذا العمل الجليل والتعارف الذى يكون سببا لقوة الاسلام وحفظ كيانه ولا يستطيع الانسان أن يؤدى عبادة وليس له أعوان يشدون أزره ويؤيدون معتقده ولذلك تجد الأجر العظيم وعده الله على كل عمل يعود على جماعة المسلمين بالفائدة ٠

(١) أى لتشابه القصد فى كل منهما ولما كان الاجتماع فى الحج أعظم جعله مشبها به لانه عبارة عن جمعية اسلامية كبيرة يراد منها النظر فى مصلحة المسلمين العامة واليه الأشارة فى آية (ليشهدوا منافع لهم و يذكروا اسم الله) وقد قال صلى الله عليه وسلم كما رواه الدار قطنى عن جابر « ابدءوا بما بدأ الله به » فيكون معظم غاية الحج هو شهود منافع المسلمين ٠

توضأ فأحسن الوضوء ثم خرج الى الصلاة لم يرفع قدمه اليمنى الا كتب الله له بها حسنة ولم يضع قدمه اليسرى الا حط الله عنه بها خطيئة فليقرب أو ليبعد فان أتى المسجد فصلى فى جماعة غفر له » والأحاديث فى هذا المعنى كثيرة جداً ه

فالمشى الى الجمعات له مزيد فضل لاسيما ان كان بعد الاغتسال(١) كما فى السنن عن أوس بن أوس رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: « من غسل يوم الجمعة واغتسل وبكر وابتكر ومشى ولم يركب ودنا من الامام واستمع ولم يلغ كان له بكل خطوة أجر سنة صيامها وقيامها » وكلما بعد المكان الذى يمشى منه الى المسجد كان أفضل لكثرة الخطا وفى صحيح مسلم عن جابر قال: « كانت دارنا نائية عن المسجد فاردنا أن نبيع بيوتنا فنقرب من المسجد فنهانا رسول الله ﷺ وقال : ان لكم بكل خطوة حسنة » وفى صحيح البخارى عن أنس أن النبى ﷺ قال : « يا بنى سلمة ألا تحتسبون آثاركم » وفى الصحيحين عن أبى موسى أن النبى ﷺ قال: « إن أعظم الناس أجرا فى الصلاة أبعدهم اليها ممشى فابعدهم »، ومع هذا فنفس الدار القريبة من المسجد أفضل من الدار البعيدة عنه لكن المشى من الدار البعيدة أفضل (٢) ففى المسند عن حذيفة عن النبى ﷺ « أنه

---

(١) كى لا يؤذى اخوانه المؤمنين فى مجتمعاتهم برائحته الكريهة من عرق وغيره كالدخان ولهذه الحكمة نص الفقهاء على استحباب الغسل عند كل اجتماع ولاشك أنه بالجمعة سنة مؤكدة لانها اجتماع عظيم لايستطيع المسلم أن يتخلف عنه فلكى لايكون سببا لاضرار أخيه جاءت السنة مؤكدة فعل الغسل

(٢) ليحصل التعادل بين اجر قرب الدار الذى نشأ عنه فى الغالب حراسة

قال : فضل الدار القريبة من المسجد على الدار البعيدة الشاسعة كفضل الغازى على القاعد» واسناده منقطع والمشى الى المسجد أفضل من الركوب كما تقدم فى حديث أوس فى الجمع ، ولهذا جاء فى حديث معاذ ذكر المشى على الأقدام ، وكان النبى ﷺ لا يخرج الى الصلاة إلا ماشيا حتى العيد يخرج الى المصلى ماشيا فان الآتى للمسجد زائر الله والزيارة على الأقدام أقرب الى الخضوع والتذلل كما قيل :

لو جئتكم زائراً أسعى على بصرى ... لم أد حقا وأى الحق أديت

وفى صحيح البخارى عن أبى هريرة عن النبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : من غدا الى المسجد أو راح أعد الله له نزلا فى الجنة كلما غدا أو راح » والنزل هو مايعد للزائر عند قدومه ، وفى الطبرانى من حديث سلمان مرفوعا « من توضأ فى بيته فأحسن الوضوء ثم أتى المسجد فهو زائر الله تعالى وحق على المزور أن يكرم الزائر » وفى صحيح مسلم عن أبى بن كعب قال : كان رجل لا أعلم رجلا أبعد من المسجد منه وكان لا تخطئه صلاة فى المسجد قال فقيل له أو قلت له لو اشتريت حماراً تركبه فى الظلماء أو فى الرمضاء فقال مايسرنى أن منزلى الى جنب المسجد إنى أريد أن يكتب لى مشاى إلى المسجد ورجوعى إذا رجعت إلى أهلى فقال رسول الله ﷺ : « قد جمع الله لك ذلك كله » وكلما شق المشى الى المسجد كان أفضل ولهذا فضل المشى الى صلاة العشاء وصلاة الصبح وعدل بقيام الليل كله كما فى صحيح مسلم عن عثمان عن النبى ﷺ قال : « من صلى العشاء فى جماعة

المسجد وتنظيفه وخدمته وبعد الدار الذى يسبب كثرة الخطى والا لو كانت واحدة منها لها جهة الفضل منفردة ان كان البعد هرب الناس من المسجد او القرب تنازعوا عليه وحدثت الفتن والقلاقل

فكأنما قام نصف الليل ومن صلى الصبح فى جماعة فكأنما قام الليل »(١) وفى الصحيحين عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: « أثقل صلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر ولو يعلمون مافيهما لأتوهما ولوحبوا » وانما ثقلت هاتان الصلاتان على المنافقين لان المنافق لاينشط للصلاة الا اذا رآه الناس كما قال تعالى: (واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يرآءون الناس ولا يذكرون الله الاقليلا) وصلاة العشاء والصبح يقعان فى ظلمة فلاينشط للمشى اليهما الا كل مخلص يكتفى برؤية الله عز وجل وحده لعلمه به ٭

وثواب المشى الى الصـــلاة فى الظلم النور التام فى ظلم القيامة كما فى سنن أبى داود . والترمذى عن بريدة عن النبى ﷺ قال : « بشر المشائين فى الظلم الى المساجد بالنور التام يوم القيامة » (٢) وخرجه ابن ماجه من حديث سهل بن سعد ، وقد روى من وجوه كثيرة . وفى بعضها زيادة « يفزع الناس ولا يفزعون » قال النخعى : وكانوا يرون أن

---

(١) وذلك لانه حصر فكره واستعد يفيق من رقاده عند الفجر ولما لم يطلق للنوم عنانه صار كأنه منغص لايستلذ منه وانما ينام ليستريح البدن فقط فلذا شبهه بقيام الليل لما قد يطرأ عليه من الافاقة فى الليلة الواحدة مرات عديدة فكأنه قام الليل تجاه تعبه وسعيه للقيام عند صلاة الفجر ومجاهدته النفس بعد استحصالها على لذة النوم وغلبته على ذلك فحاز اجر الجهاد واجر السفر والتوفيق ٭

(٢) لانه أدل على الاخلاص وأبعد عن الرياء حيث النفس تجد لها ميدانا واسعا وأنصاراً أقوياء وتقطع أملها من حصول ثناء الناس عليها لشدة الظلام الذى لايراه فيه أحد إلا الله تعالى فيكون عمله خالصا لوجهه فيبشره بالنور التام ونعم البشارة ٭

المشى فى الليلة الظلماء الى الصلاة موجبة - يعنى توجب المغفرة *

وروينا عن الحسن قال : أهل التوحيد فى النار لايقيدون فيقول الخزنة بعضهم لبعض : مابال هؤلاء لايقيدون وهؤلاء يقيدون؟ فيناديهم مناد ان هؤلاء كانوا يمشون فى ظلم الليل الى المساجد كما أن مواضع السجود من عصاة الموحدين فى النار لاتأكلها النار فكذلك الأقدام التى تمشى الى المساجد فى الظلم لاتقيد فى النار * ولا يسوى (١) فى العذاب بين من خدمه وبين من لم يخدمه وان عذبه *

ومن كان فى سخطه محسنا فكيف يكون إذا مارضى

لما كانت الصلاة صلة بين العبد وبين ربه ومناجاة تظهر فيها آثار تجليه لقلوب العارفين وقربه شرع قبل الدخول فيها الطهارة فانه لايصلح للوقوف بين يدى الله عزوجل والخلوة بمناجاته إلاطاهر فأما المتلوث بالأوساخ الظاهرة والباطنة فلا يصلح للقرب فشرع الله عز وجل للمصلى غسل أعضائه بالماء ورتب عليها طهارة الذنوب وتكفيرها حتى يجتمع لمن يريد المناجاة طهارة ظاهرة وباطنة ، ثم شرع المشى الى المساجد *

وفيه أيضا تكفير الخطايا حتى تكمل طهارة الذنوب إن بقى منها شىء بعد الوضوء حتى لايقف العبد فى مقام المناجاة إلا بعد كمال طهارة

---

(١) وفى نسخة ولا يستوى فى العذاب من خدمه ومن لم يخدمه وان عذبه اه لقوله تعالى :(ومن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) فاذا سوى فى العذاب بين المتفاوتين فى العمل فيكون خلفا للوعد وقد قال تعالى:(إن الله لايخلف الميعاد) ولكن لاعلى طريق الوجوب بل ذلك فضل من الله وكرمه لايسأل عما يفعل وهم يسألون *

ظاهرة وباطنة من درن الأوساخ والذنوب ،ولهذا شرع له تجديد التوبة والاستغفار عقب كل وضوء حتى تكمل طهارة ذنوبه كما خرج النسائى من حديث أبى سعيد مرفوعا وموقوفا « من توضأ فأسبغ الوضوء ثم قال عند فراغه من وضوئه: سبحانك اللهم وبحمدك أستغفرك وأتوب إليك ختم عليها بخاتم فوضعت تحت العرش فلم تكسر إلى يوم القيامة » ومتى اجتهد العبد على تكميل طهارته ومشيه الى المسجد ولم يقو ذلك على تكفير ذنوبه فان الصلاة يكمل بها التكفير كما فى الصحيحين عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : « أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شىء ؟ قالوا : لا يبقى من درنه شىء قال : فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا » وان قوى الوضوء وحده على تكفير الخطايا فالمشى الى المسجد والصلاة بعده تكون زيادة حسنات وهذا هو المراد من قول النبى ﷺ فى حديث عثمان . والصنابحى وكان مشيه الى المسجد وصلاته نافلة ، وقد سبق ذكر الحديثين *

واعلم أن جمهور العلماء على أن هذه الاسباب كلها إنما تكفر الصغائر دون الكبائر وقد استدل بذلك عطاء وغيره من السلف فى الوضوء وقال سلمان الفارسى رضى الله عنه: الوضوء يكفر الجراحات الصغار والمشى الى المسجد يكفر أكثر من ذلك والصلاة تكفر اكثر من ذلك خرجه محمد بن نصر المروزى، ويدل (١) على ان الكبائر لا تكفر بذلك ما فى الصحيحين

---

(١) لا دلالة فى الحديث على عدم تكفير الكبائر لأن معنى الحديث اذا اجتنبت الكبائر بعد الشروع فى العبادة سواء كانت من الجمعة الى الجمعة أم

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن اذا اجتنبت الكبائر » وفي صحيح مسلم عن عثمان عن النبي ﷺ قال : « مامن امرىء مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها وسجودها إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب مالم تؤت كبيرة وذلك الدهر كله » فانظر الى كم تيسر لك أسباب تكفير الخطايا لعلك تطهر منها قبل الموت فتلقاه طاهرا فتصلح لمجاورته في دار السلام وأنت تأبى الا أن تموت على خبث الذنوب فتحتاج الى تطهيرها في كير جهنم ياهذا أما علمت أنه لايصلح لقربنا الا طاهر فاذا أردت قربنا ومناجاتنا اليوم فطهر ظاهرك وباطنك لتصلح لذلك وإن اردت قربنا ومناجاتنا غدا فطهر قلبك من سوانا لتصلح لمجاورتنا (يوم لاينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم) والقلب السليم الذي ليس فيه غير محبة الله ومحبة مايحبه الله « إن الله طيب لايقبل إلا طيبا » فما كل أحد يصلح لمجاورة الله تعالى غدا ولا كل عبد يصلح لمناجات الله اليوم ولا على كل الحالات تحسن المناجاة ٭

الناس من الهوى على أصناف هذا نقض العهد وهذا وافى

كانت من رمضان الى رمضان لأن شرط عدم ارتكاب معصية صغيرة أو كبيرة لايكاد يقوم به إلا أفذاذ قلائل فان الصلوات التي تنهى عن الفحشاء والمنكر فيما يأتي لايبعد أن تكون وسيلة لاستحصال رحمة الله وغفران ما مضى من الكبائر والصغائر لاسيما وأن اجتناب الكبائر وحده مكفر للصغائر كما في الأحاديث الواردة بذلك كثير ، ويرحم الله اللقاني حيث يقول في جوهرته :

وباجتناب للكبائر تغفر صغائر وجا الوضو يكفر

فالتوبة النصوحة لايقف أمامها ذنب فضلا من الله ورحمة أن الله يحب التوابين

هيهات من الكدور تبغى الصافى ما يصلح للحضرة قلب جافى (١)

(السبب الثانى) من مكفرات الذنوب الجلوس فى المساجد بعد الصلوات والمراد بهذا الجلوس انتظار صلاة أخرى كما فى حديث أبى هريرة «وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط» فجعل هذا من الرباط فى سبيل الله عز وجل وهذا أفضل من الجلوس قبل الصلاة لانتظارها فان الجالس لانتظار الصلاة ليؤديها ثم يذهب تقصر مدة انتظاره بخلاف من صلى صلاة ثم جلس ينتظر أخرى فان مدته تطول فان كان كلما صلى صلاة جلس ينتظر ما بعدها استغرق عمره بالطاعة وكان ذلك بمنزلة الرباط فى سبيل الله عز وجل.

وفى المسند. وسنن ابن ماجه عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال: «صليت مع رسول الله ﷺ المغرب فرجع من رجع وعقب من عقب فجاء رسول الله ﷺ مسرعا قد حفزه النفس وقد حسر عن ركبتيه فقال: ابشروا هذا ربكم قد فتح بابا من أبواب السماء يباهى بكم الملائكة يقول انظروا الى عبادى قد قضوا فريضة وهم ينتظرون أخرى» * وفى المسند عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال. «منتظر الصلاة بعد الصلاة كفارس اشتد به فرسه فى سبيل الله على كشحه تصلى عليه ملائكة الله مالم يحدث أو يقوم وهو فى الرباط الاكبر» ويدخل فى قوله: «والجلوس فى المساجد بعد الصلوات» الجلوس للذكر والقراءة وسماع العلم وتعليمه ونحو ذلك لاسيما بعد صلاة الصبح حتى تطلع الشمس فان النصوص قد وردت بفضل ذلك وهو شبيه بمن جلس ينتظر صلاة أخرى لانه قد قضى ماجاء الى المسجد لأجله من الصلاة وجلس ينتظر طاعة أخرى *

---

(١) البيتان من بحر الدوبيت وفى بعض تفاعيله حذف جائز

وفى الصحيح عن النبى ﷺ قال: « ما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله تعالى يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم الا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده » *

وأما الجالس قبل الصلاة فى المسجد لانتظار تلك الصلاة خاصة فهو فى صلاة حتى يصلى * وفى الصحيحين عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم « أنه لما أخر صلاة العشاء الآخرة ثم خرج فصلى بهم قال لهم: انكم لم تزالوا فى صلاة ما انتظرتم الصلاة » * وفيهما أيضا عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: « الملائكة تصلى على أحدكم مادام فى مصلاه مالم يحدث اللهم اغفر له اللهم ارحمه ولا يزال أحدكم فى صلاة ما كانت الصلاة تحبسه لا يمنعه ان ينقلب الى أهله الا الصلاة » وفى رواية لمسلم « مالم يؤذ فيه مالم يحدث فيه » وهذا يدل على أن المراد بالحدث حدث اللسان ونحوه من الاذى وفسره أبو هريرة بحدث الفرج وقيل انه يشمل الحدثين * وفى المسند عن عقبة بن عامر عن النبى ﷺ قال: « القاعد يراعى الصلاة كالقانت ويكتب من المصلين من حين يخرج من بيته حتى يرجع اليه » وفى رواية له « فاذا صلى فى المسجد ثم قعد فيه كان كالصائم القانت حتى يرجع » وفى هذا المعنى أحاديث كثيرة، وبالجملة فالجلوس فى المساجد للطاعات له فضل عظيم * وفى حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: « لا يوطن رجل المساجد للصلاة والذكر الا تبشبش الله عز وجل به كما يتبشبش أهل الغائب اذا قدم عليهم غائبهم » * وروى دراج عن ابى الهيثم عن أبى سعيد عن النبى ﷺ قال: « من ألف المسجد ألفه الله » (١) * وقال سعيد بن المسيب: من جلس فى المسجد فانما

---

(١) لانه لا معنى لالفه المسجد المساوى لغيره من البيوت العادية من حيث البناء الا لانه محل اجتماع المسلمين لاداء العبادة فيه لله عز وجل

يجالس الله عز وجل (١) وصح عن النبى ﷺ انه عد من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لاظل إلا ظله رجل قلبه معلق بالمسجد اذا خرج منه حتى يعود اليه ٠

وانما كانت ملازمة المسجد للطاعات مكفرة للذنوب لأن فيها مجاهدة النفس و كفاً لها عن أهوائها فانها لاتميل الا الى الانتشار فى الأرض لابتغاء الكسب أو لمجالسة الناس أو لمحادثتهم أو للتنزه فى الدور الأنيقة والمساكن الحسنة ومواطن النزه ونحو ذلك فمن حبس نفسه فى المساجد على الطاعة فهو مرابط لها فى سبيل الله مخالف لهواها وذلك من أفضل أنواع الصبر والجهاد وهذا الجنس ـ أعنى مايؤلم النفس ويخالف هواها ـ فيه كفارة للذنوب وان كان لاصنع فيه للعبد كالمرض ونحوه فكيف بما كان حاصلا عن فعل العبد واختياره اذا قصد به التقرب الى الله عز وجل فان هذا من نوع الجهاد فى سبيل الله (٢) الذى يقتضى تكفير الذنوب

ولذلك يألفه الله تعالى اى يحبه ويرضى عنه بغفران الذنوب اوزيادة الاجر والثواب والحسنات ٠

(١) لانشغاله بعبادة الله تعالى فينال على القرب المعنوى والافان المجالسة المعروفة فى البشر مستحيلة فى حقه تعالى لما ينشأ عنها من التجسيم ومشابهة الحوادث تعالى عن ذلك علواً كبيراً ليس كمثله شىء وهو السميع البصير

(٢) ولكن هذا كله مشروط اذا توفرت لديه اسباب المعيشة وكان يستحصل رزقه بدون مد يد اوانتظار اوساخ الناس من صدقات اوغيرها والافان كان كذلك فلاخير فيه ولاخير فى عبادته مادام عالة على الناس مشغول القلب بما يقتات به فان هذا ولو وجد فى المسجد فانه بعيد عنه لان العبرة بالقلب وان الذى يذهب لعمله وقلبه معلق بالمسجد فان له اجر المصلين

كلها ولهذا المعنى كان المشى الى المساجد كفارة للذنوب أيضا وهو نوع من الجهاد فى سبيل الله أيضا كما خرجه الطبرانى من حديث أبى أمامة عن النبى ﷺ « الغدو والرواح الى المساجد من الجهاد فى سبيل الله عز وجل » *

كان زياد مولى ابن عباس أحد العباد الصالحين وكان يلازم مسجد المدينة فسمعوه يوما يعاتب نفسه ويقول لها: أين تريدين أن تذهبى الى أحسن من هذا المسجد تريدين أن تبصرى دار فلان ودار فلان ، لما كانت المساجد فى الأرض بيوت الله أضافها الله الى نفسه تشريفا لها وتعلقت قلوب المحبين لله عز وجل بها لنسبتها إلى محبوبهم وارتاحت (١) الى ملازمتها لاظهار ذكره فيها قال تعالى : (فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار) *

أين يذهب المحبون عن بيوت مولاهم ، قلوب المحبين ببيوت محبوبهم متعلقة وأقدام العابدين الى بيوت معبودهم مترددة *

ياحبذا العرعر النجدى والبان ودار قوم باكناف الحمى بانوا

فيه اذا لم يتمكن من الحضور لأسباب مشروعة ولا يفهم من أحد أن الله الشارع يأمر بأن يلازم الانسان المسجد ويترك عمله فمعاذ الله أن يكون ذلك لأن دين الاسلام دين العمل ألا ترى ما فى الحديث قال وقلبه معلق بالمساجد أى أنه يذهب لعمله ويشتاق المسجد ولا يترك فرصة تخوله الصلاة فى المسجد الا ويستعملها فهذا هو أحد السبعة الذين يظلهم الله تحت ظله يوم لا ظل إلا ظله *

(١) وفى نسخة وارتاحوا الى ملازمتها الخ والضمير فى ارتاحت راجع الى قلوب المحبين وعلى النسخة الثانية راجع الى أصحاب القلوب المفهوم ضمنا

وأطيب الأرض ما للقلب فيه هوى سم الخياط مع الأحباب ميدان
لا يذكر الرمل الا حن مغترب له بذى الرمل أوطار وأوطان
يهفو الى البان من قلبي نوازعه وما بي البان بل من داره البان

(الفصل الثانى) فى ذكر الدرجات المذكورة فى حديث معاذ وهى ثلاث، أحدها اطعام الطعام وقد جعله الله فى كتابه من الأسباب الموجبة للجنة ونعيمها قال الله عز وجل : (ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيراً انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءا ولا شكورا انا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا متكئين فيها على الأرائك لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قوارير قوارير من فضة قدروها تقديرا ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا عينا فيها تسمى سلسبيلا) الى قوله : (وسقاهم ربهم شرابا طهورا) فوصف فاكهتهم وشرابهم جزاء لاطعامهم الطعام، وفى الترمذى من حديث أبى سعيد الخدرى عن النبى ﷺ قال : « أيما مؤمن أطعم مؤمنا على جوع أطعمه الله من ثمار الجنة ومن سقى مؤمنا على ظمأ سقاه الله من الرحيق المختوم) وفى المسند . والترمذى عن على عن النبى ﷺ قال : « ان فى الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها قالوا لمن هى يارسول الله ؟ قال : لمن أطعم الطعام وأطاب الكلام وصلى بالليل والناس نيام» (١) وفى حديث عبد الله بن

---

(١) أقول هذه الأمور الثلاثة دالة على اخلاص العبودية الصرفة فان من أطعم الطعام علم أن أخاه المسلم فى حاجة واعتقد بصحة الاخوة امتثالا لقول الله تعالى: (انما المؤمنون اخوة) لهذا أطعم الطعام وعلم أنه لا يملك

سلام الذى خرجه أهل السنن أنه سمع النبى ﷺ اول قدومه المدينة يقول : « أيها الناس أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا الأرحام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام » ه وفى حديث عبادة عن النبى ﷺ « أنه سئل أى الأعمال أفضل ؟ قال : « ايمان بالله وجهاد فى سبيله وحج مبرور وأهون من ذلك اطعام الطعام ولين الكلام » خرجه الامام أحمد ه وفى حديث هانىء بن يزيد ان رجلا قال: يارسول الله دلنى على عمل يدخلنى الجنة ويباعدنى من النار قال: « تطعم الطعام وتفشى السلام » وفى حديث حذيفة عن النبى ﷺ قال : « من ختم له باطعام مسكين دخل الجنة » وفى الصحيحين من حديث عبد الله بن عمرو « ان رجلا قال: يارسول الله أى الاسلام خير؟ قال: تطعم الطعام وتقرىء السلام على من عرفت ومن لم تعرف »(١) وفى حديث صهيب عن النبى صلى الله عليه وسلم

من هذه الحياة الا ما اكله وشربه ولا يبقى له الا ماتصدق به فاغتنم هذه الفرصة واراد ان يخزن له ثروة تنفعه يوم لاينفع فيه مال ولا بنون إلا من اتى الله بقلب سليم، فلولا اعترافه بالعبودية لما قام بأداء مايجب لها ، واطابة الكلام لينه لأخيه حيث قد آمن بقول الله وعرف ما كان هو عليه من مذرة الى علقة الى مضغة خرج من محل البول مرتين ويحمل القذر فى جوفه كل وقت لهذا تباعد عن الكبر والغرور فألان القول لاخوانه امتثالا لما امره الله من الخضوع واظهار السكينة ، وصلاة الليل والناس نيام لاغبار على دعوى اخلاصها لله تعالى فلا يبعدان يكرم الله هذا الشخص بأكثر مما ورد فى الحديث الشريف مكافأة له على طاعته وكرما من الله الكريم الرحمن ه

(١) ليكون ادل على صحة اعتبارك المسلمين اخوانا تهدىء روعهم بكلمة السلام التى هى الأمان وتجعلها فاتحة للكلام الذى يجر الى التعارف فالمودة

قال : « خيركم من اطعم الطعام » (١) خرجه الامام احمد ٭

فاطعام الطعام يوجب دخول الجنة ويباعد من النار وينجى منها كما قال تعالى : (فلا اقتحم العقبة وما ادراك ما العقبة فك رقبة او اطعام فى يوم ذى مسغبة يتيما ذا مقربة او مسكينا ذا متربة) (٢) وفى الحديث الصحيح

والمحبة وهذا من اعظم المطالب التى ارادتها منا الشريعة وبعبارة اخرى انها كلمة التعارف بين المسلمين فلا ينبغى ان تهمل او تضيع لانها العلامة المميزة ومقدمة ترويح الشئون الاجتماعية ٭

(١) وذلك لأنه قام بعمل صحيح إذ أن افشاء السلام وغيره لا مشقة فيه على النفس المجبولة على الشح والطمع واطعام الطعام ينافى هذا فهو إذن خير لما يحصل فى سبيل عمله من جهاد النفس ولكن كما فى الآية ان يكون على حبه تعالى لا نريد منكم جزاءا ولا شكورا ٭

(٢) ما احلى هذا الترتيب البديع وما ادق ما يدل عليه من الحقائق والمقاصد العالية وتقديم الأهم الى درجة تحار الانسان فيها ويعسر على اليراع ان يفصح عنها فقدم فك الرقبة لما فيه من تخليص اخيه من ربقة مصيبة استعباد انسان مثله كان مستحقا له بوقوفه امام نشر دعوة الدين ومحاربته الفضيلة والتعاليم وعدم رضوخه للحق بل خاصمه وحاربه وجعلت عبوديته مسلسلة للابناء كى يتأخر الانسان عن التعدى على الحق لأنه اذا علم ان المصيبة تسرى الى ابنائه فانه يحجم عن مجادلة دين الله ولهذا جعل الله اعظم اعمال الانسان واشرفها عتق رقبة فحث عليها كثيرا وعدها من اشرف الاعمال الصالحات وجعلها اول الكفارات فى الايمان والظهار وقتل الخطأ ثم ثنى بالصدقات واطعام الفقراء وجعلهم قسمين يتيما وهو الطفل القريب وقدمه لما يمت اليه من العجز الظاهر بسبب الفقر وبالقرابة وأتى بعده

عن النبي ﷺ « اتقوا النار ولو بشق تمرة » (١) ٠

وكان أبو موسى الأشعرى رضى الله عنه يقول لولده : اذكروا صاحب الرغيف ثم ذكر أن رجلا من بنى اسرائيل عبد الله سبعين سنة ثم ان الشيطان حسن فى عينيه امرأة فأقام معها سبعة أيام ثم خرج هاربا فأقام مع مساكين فتصدق عليه برغيف كان بعض أولئك المساكين يريد فآثره به ثم مات فوزن عبادته بالسبعة الأيام التى مع المرأة فرجحت الأيام السبعة بعبادته ثم وزن الرغيف بالسبعة الأيام فرجح بها ٠

ويتأكد اطعام الطعام للجائع وللجيران خصوصا ، وفى الصحيح عن أبى موسى الأشعرى عن النبي ﷺ قال : « اطعموا الجائع وعودوا المريض وفكوا العانى » ٠ وفى صحيح مسلم عن أبى ذر عن النبي ﷺ قال له : « ياأبا ذر (٢) اذا طبخت مرقة فأكثر ماءها وتعاهد جيرانك » وفى المسند . وصحيح ابن حبان (٣) عن عمر عن النبي ﷺ قال : « أيما

بالمسكين الذى لايملك شيئا لأن المقصود اعطاء المحتاج لافرق بين صغير وكبير

(١) أى فلا ينبغى أن لايتصدق الانسان بما يراه بعينه حقيراً اذ يجوز أن تنجم عن هذا الأمر الذى يعده تافها أشياء عظيمة فان شق التمرة لمن بلغ غاية الجوع يجوز أن يكون سبب حياته ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا وليس فى الدنيا شىء الا وله لزوم اذ لم يخلق الله شيئا عبثا فليس المدار على كثرة الصدقات وقلتها وانما المدار على الاخلاص فيها لوجه الله تعالى وتحرى المستحقين لها واعطائهم

(٢) فى نسخة حذف قوله قال له ياأباذر الخ

(٣) وفى نسخة صحيح الحاكم بدل ابن حبان

عرصة أصبح فيهم امرؤ جائعا فقد برئت منهم ذمة الله عز وجل » (١) وقال ﷺ: «لايشبع المؤمن دون جاره» وفي صحيح الحاكم عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: « ليس بالمؤمن الذي يشبع وجاره جائع » (٢) وفي رواية « ما آمن من بات شبعانا وجاره طاويا »ه

فأفضل أنواع اطعام الطعام الايثار مع الحاجة كما وصف الله تعالى بذلك الأنصار رضي الله عنهم فقال:(ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة (٣)) وقد صح ان سبب نزولها ان رجلا منهم أخذ ضيفا من

---

(١) وذلك لأنهم فقدوا الشفقة والرحمة فاذا كان من يعيش معهم وفي وسطهم جائعا لايعطفون عليه ولا يتحننون عليه فلا شك أنهم لايؤدون الحقوق الالهية ولا يمتثلون أوامر الشريعة ويكونون مستحقين لأن يتبرأ الله منهم ويحل عليهم سخطه وعذابه وتتجرد منه الانسانية

(٢) وفي نسخة «وجاره خاو» فلو كان مؤمنا لدفعه ايمانه الى الرحمة بجاره الذي أوصى به الله ورسوله فتركه له طاويا من الجوع دليل على عدم امتثاله وبرهان على قساوة قلبه لأنه اذا لم يكترث بجاره ولم يسأل عنه فمع البعيد أولى وان فعل فانه لايريد وجه الله وعمله ليس من الايمان ، وفي هـــذا الحديث دلالة واضحة على أن الايمان ليس عبارة عن مجرد التصديق بل لابد من العمل لأنه اذا لم يعمل يدل على أنه مستهزىء بهذا التصديق الذي زعمه ولو قلنا انه ليس انسانا لما كان بالأمر المنكر لأنه محروم من الشفقة التي تجب على الحيوانات غير الناطقة فكيف بأخيه المسلم والانسان الذي يجمعه وإياه نسب واب واحد هو آدم عليه السلام ه

(٣) وبعد اتصافهم بهذه المزية العالية وتحققهم في الدين وبذلهم الارواح والاموال والابناء الى هذه الدرجة لاشبهه بالحديث الذي رواه البخاري عن

عند النبي صلى الله عليه وسلم يضيفه فلم يجد عنده إلا قوت صبيانه فاحتال هو وامرأته حتى نوما صبيانهما وقام الى السراج كأنه يصلحه فاطفأه ثم جلس مع الضيف يريه أنه يأكل معه ولم يأكل فلما غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : عجب الله من صنيعكما الليلة ونزلت هذه الآية»

وكان كثير من السلف يؤثر بفطوره غيره وهو صائم ويصبح صائما، منهم عبد الله بن عمر رضى الله عنهما . وداود الطائى . وعبد العزيز بن سليمان . ومالك بن دينار . وأحمد بن حنبل . وغيرهم ، وكان ابن عمر لا يفطر الا مع اليتامى والمساكين(١) وربما علم أن أهله قد ردوهم عنه فلم يفطر تلك الليلة ،

البراء بن عازب « الانصار لا يحبهم الا مؤمن ولا يبغضهم الا منافق فمن أحبهم احبه الله ومن ابغضهم ابغضه الله » ورواه بسند آخر عن انس « آية الايمان حب الانصار وآية النفاق بغض الانصار» وذلك لتمسكهم فى الدين تمسكا حقيقياً خالصا لوجه الله تعالى قد عملوا بكل ما علموا وفهموا معنى الاسلام كما اراد الله فشرعوا يؤثرون على انفسهم لاعتبارهم اخوانهم ارجح من انفسهم واحق منهم بالحياة وهذا هو السر الذى جعل الاسلام ينتشر بسرعة ويقهر كل ملوك العالم وسلاطينه ، ولما كانت الانصار هى التى نفذت هذا الامر استحقت ما مدحها به رسول الله صلى الله عليه وسلم كما رواه البخارى فى باب مناقب الانصار « لو ان الانصار سلكوا واديا او شعبا لسلكت وادى الانصار ولولا الهجرة لكنت امرءاً من الانصار » والله اعلم *

(١) ليمرن غيره على الخضوع والتواضع ويبين ان الناس متساوون فى كل شىء غير التقوى والعمل الصالح ولكن لا يحتقر الرجل لصغر سنه أو فقره فانه عبد لله والله يؤتى الفضل من يشاء وان الفضل هو فى اخلاص العمل لله تعالى *

ومنهم من كان لا يأكل الامع ضيف له قال ابو السوار العدوى: كان رجال من بنى عدى يصلون فى هذا المسجد ما أفطر احد منهم على طعام قط وحده ان وجد من يأكل معه أكل والا اخرج طعامه الى المسجد فاكله مع الناس وأكل الناس معه ، وكان منهم من يطعم اخوانه الطعام وهو صائم ويجلس يخدمهم ويروحهم ، منهم الحسن . وابن المبارك ، وكان ابن المبارك ربما يشتهى الشيء فلا يصنعه الا لضيف ينزل به فيأكله مع ضيفه ، وكان كثير منهم يفضل اطعام الاخوان على الصدقة على المساكين ، وقد روى هذا المعنى مرفوعا من حديث انس باسناد ضعيف ولا سيما ان كان الاخوان لا يجدون مثل ذلك الطعام كان بعضهم يعمل الأطعمة الفاخرة ثم يطعمها اخوانه الفقراء ويقول : انهم لا يجدونها ، وبعضهم يصنع له طعاما ولا يأكل ويقول انى لا اشتهيه وانما صنعته لاجلكم ، وبعضهم اتخذ حلاوة فاطعمها المعتوه فقال له أهله ان هذا لا يدرى ما يأكل فقال لكن الله يدرى .

واشتهى الربيع بن خيثم حلواء فلما صنعت له دعا بالفقراء فاكلوا فقال له اهله اتعبتنا ولم تأكل فقال ومن اكله غيرى (١) وقال آخر منهم وجرى له نحو من ذلك . اذا اكلته كان فى الحش واذا اطعمته كان عند الله مدخورا .

وروى عن على قال: لأن أجمع أناسا من اخوانى على صاع من طعام أحب الى من ان أدخل سوقكم هذه فأبتاع نسمة فأعتقها وعن أبى جعفر محمد بن على قال لان أدعو عشرة من أصحابى فاطعمهم طعاما يشتهونه أحب الىّ من أن أعتق عشرة من ولد اسماعيل . أصف الايثار لمن يبخل بالداء

---

(١) لانه باق لا يفنى محفوظ عند الله تعالى وما عند الله خير وابقى .

الحقوق الواجبة عليه أأطلب الشجاعة من الجبان وأستشهد على رؤية الهلال من هو من جملة العميان كم بين من قيل فيه : (فلما آتاهم من فضله بخلوا به) وبين من قيل فيه :(ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة) بيننا وبين القوم كما بين اليقظة والنوم *

لاتعرضن لذكرنا فى ذكرهم ليس الصحيح اذا مشى كالمقعد

فيامن يطمع فى علو الدرجات من غير عمل صالح هيهات هيهات (أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات)

نزلوا بمكة فى قبـــائل نوفل ونزلت بالبيداء أبعد منزل (١)

(الفصل الثالث) من الدرجات لين الكلام وفى رواية « إفشاء السلام » وهو داخل فى لين الكلام وقد قال الله عز وجل: (وقولوا للناس حسنا) وقال تعالى: (وقل لعبادى يقولوا التى هى أحسن) وقال تعالى. (ادفع بالتى هى احسن السيئة فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم ومايلقاها الاالذين صبروا ومايلقاها الاذوحظ عظيم) وقال تعالى: (وجادلهم بالتى هى احسن) وقال تعالى:(ولاتجادلوا اهل الكتاب الا بالتى هى احسن الا الذين ظلموا منهم) ولما قال النبى صلى الله عليه وسلم : « الحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة قالوا له وما الحج المبرور يارسول الله ؟ قال: اطعام الطعام ولين الكلام» خرجه الامام أحمد وقد تقدم فى ذكر اطعام الطعام أحاديث أخر فى طيب الكلام * وفى الحديث الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم « والكلمة الطيبة صدقة » وفيه أيضا « اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة » *

واما كون افشاء السلام من موجبات الجنة ففى صحيح مسلم عن ابى هريرة

---

(١) وفى نسخة هاشم بدل نوفل *

عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « والذى نفسى بيده لاتدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولاتؤمنوا حتى تحابوا الا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام فيما بينكم » (١) وخرج أبو داود من حديث أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن أولى الناس بالله تعالى من بدأهم بالسلام»(٢) ويروى من حديث ابن مسعود مرفوعا وموقوفا « اذا مر الرجل بالقوم فسلم عليهم فردوا عليه كان له عليهم فضل درجة لأنه ذكرهم بالسلام وان لم يردوا عليه رد عليه ملأ خير منهم وأطيب » *

وقد روى من حديث عمران بن حصين وغيره « أن رجلا دخل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال : السلام عليكم فقال : النبي ﷺ عشر ثم جاء آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله فقال رسول الله ﷺ عشرون ثم جاء آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فقال رسول الله ﷺ ثلاثون » خرجه الترمذى وغيره وخرجه أبو داود وزاد « ثم جاء آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ومغفرته فقال النبي ﷺ أربعون ثم قال هكذا تكون الفضائل » وقد سبق حديث أن

---

(١) اشرنا الى ذلك فى صفحة (٣٥) من ان السلام يجر الى الكلام فالتعارف فالتحابب وهذا هو مقصود الشارع ولذلك جاء فى الحديث الذى رواه الترمذى عن معاذ «قال الله تعالى : المتحابون فى جلالى لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء » *

(٢) اى لانه ادل على انه اكثر تواضعا من اخيه وان عنده من حسن الخلق ماجعله يهدى السلام لاخيه نافيا عن نفسه الكبرياء ومايسوق اليها من الاثرة والغطرسة، والحديث سكت عنه المنذرى قال الطيبي: اى اقرب الناس من المتلاقيين الى رحمة الله تعالى من بدأ بالسلام *

تقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف (١) وفى حديث ابن مسعود مرفوعا « من أشراط الساعة السلام بالمعرفة » (٢) خرجه الامام أحمد ه

وانما جمع بين اطعام الطعام ولين الكلام ليكمل بذلك الاحسان الى الخلق بالقول والفعل فلا يتم الاحسان باطعام الطعام الا بلين الكلام وافشاء السلام فان أساء بالقول بطل الاحسان بالفعل من الاطعام وغيره

---

(١) لأنه برهان ساطع على اخلاص الرجل وانه يريد بسلامه وجه الله تعالى لم تدفعه المعرفة بسابق طمع أو رهبة وانما غايته التعارف الاسلامى فان هذه الكلمة علامة خاصة للاسلام ومن خير الوسائل للمعرفة التى جاءت كثير من الفروض الاسلامية مقوية لها وطالبة بها انتشارها بين المسلمين خشية من وصولهم الى حالتهم اليوم حيث أصبحوا يجهلون بعضهم ولا يعرفون مايجرى فى محل اقامتهم وقد بلغ من بعضهم أنه لايدرى الا بما فى داره أو مايصادفه فى الطريق عن عرض ظنا منه أن هذا ورع أو أنه عبادة مع أن الدين أن تعرف اخوانك المسلمين فى الأقطار كافة وتجتهد فى التعارف معهم وان لم تعرفهم بمسائل مادية أو علاقة نفسية فان علاقة الدين خير علاقة ونسبه أشرف الانساب واخوته هى الاخوة الحقيقية المقصودة (٢) كأنه لايريد أن يعترف باسلام شخص لاعلاقة له مادية وقد وقع هذا فى هذا العصر ولاسيما فى مصر حتى أن علماء الدين أنفسهم لايسلمون الا على من يعرفونه ولاشك أن هذا دليل انقاطع وسبب من أسباب تخاذل المسلمين الى أن صاروا مستعبدين فى الأرض لاحول لهم ولا طول بالنسبة لقوة أعدائهم اليوم والذين كانوا تحت سيطرة ونفوذ اسلافهم وكل هذا هدم اهتمامهم بمثل هذه الدقائق التى تطلبها الشريعة بشدة وإلحاح وما تغنى الآيات والنذر ؟ إنا لله وإنا اليه راجعون

كما قال الله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى) ٥

وربما كان معاملة الناس بالقول الحسن أحب اليهم من اطعام الطعام والاحسان باعطاء المال (١) كما قال لقمان لابنه : يا بنى لأن تكن كلمتك طيبة ووجهك منبسطا تكن أحب الى الناس ممن يعطيهم الذهب والفضة ، وقد كان النبى ﷺ يلين القول حتى لمن يشهد له بالشر فينتفى بذلك شره ، وكان ﷺ لا يواجه أحدا بما يكره فى وجهه ولم يكن ﷺ فحاشا ولا متفحشا ، وروى عن ابن عمر أنه كان ينشد ٥

بنى ان البر شىء هين ... وجه طليق وكلام لين

ولبعضهم خذ العفو وأمر بعرف كما ... أمرت وأعرض عن الجاهلين

ولن فى الكلام لكل الأنام ... فستحسن من ذوى الجاه لين

وقد وصف الله عز وجل فى كتابه أهل الجنة بمعاملة الخلق بالاحسان بالمال واحتمال الأذى فقال تعالى : (وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين) فالانفاق فى السراء والضراء يقتضى غاية الاحسان بالمال من الكثرة والقلة ، وكظم الغيظ والعفو عن الناس يقتضى عدم المقابلة على السيئة من قول وفعل وذلك يتضمن إلانة القول واجتناب الفحش والاغلاظ فى المقال ولو كان مباحا ، وهذا نهاية الاحسان فلهذا قال تعالى : (والله يحب المحسنين) ٥

---

(١) وذلك لأن القول الحسن غذاء للروح واطعام الطعام غذاء للجسد ولاشك أن الناس متفاوتون ومختلفون فكل فريق يرجح طرفا فمنهم من يرجح مصلحة الروح ، ومنهم من يرجح فائدة الجسد المادية ولكل وجهة هو موليها نسأل الله التوفيق

ومن هذا قول بعضهم وقد سئل عن حسن الخلق فقال : بذل الندى وكف الأذى وهذا الوصف المذكور فى القرآن أكمل من هذا لأنه وصفهم ببذل الندى واحتمال الأذى ، وحسن الخلق يبلغ به العبد درجات المجتهدين فى العبادة كما قال النبى ﷺ : « ان الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم النهار القائم الليل » (١) ورؤى بعض السلف فى المنام فسئل عن بعض اخوانه الصالحين فقال : وأين ذلك رفع فى الجنة بحسن خلقه »

ومما يندب الى إلانة القول فيه الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وان يكون برفق لما قال تعالى : فى حق الكفار (وجادلهم بالتى هى أحسن) قال بعض السلف : ما أغضبت أحـــداً فقبل منك (٢) وكان أصحاب ابن مسعود اذا رأوا قوما على ما يكره يقولون لهم مهلا مهلا بارك الله فيكم » ورأى بعض التابعين رجلا واقفا مع امرأة فقال لها : « ان الله يرانا ستترنا الله وإياكما » ودعى الحسن الى دعوة فجىء بآنية فضة فيها حلواء فأخذ الحسن الحلواء فقلبها على رغيف وأكل منها فقال بعض من حضر هذا نهى فى سكون ، ورأى الفضيل رجلا يعبث فى صلاته فزبره فقال له الرجل : ياهذا ينبغى لمن يقوم لله أن يكون ذليلا فبكى الفضيل وقال له صدقت ،

---

(١) بل أن الله تعالى مدح رسوله ﷺ بقوله : (وانك لعلى خلق عظيم) ولا شك أن الله مدحه به لأنه أشرف المراتب وأسمى الدرجات وبه بلغ الانسان الى كل خير وغاية شريفة ومطلب مقدس

(٢) لأنها فرصة يستفيدها الهوى والشيطان فيسوقه الى العناد والاصرار على الخطأ والسير فى الضلالة فتكون سببا فى أذيته من حيث أنك أردت منفعته ودفعا لوقوع مثل هذا الذى يكثر حصوله عادة أمرنا الله بقوله : (وجادلهم بالتى هى أحسن)

قال شعيب بن حرب : ربما مرّ سفيان الثورى بقوم يلعبون بالشطرنج فيقول مايصنع هؤلاء؟ فيقال له يا أبا عبد الله ينظرون فى كتاب فيطاطىء رأسه ويمضى وانما يريد بذلك ليعلم أنه قد أنكر * وقال سفيان لايأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر الا من كان فيه خصال ثلاث . رفيق بما يأمر . رفيق بما ينهى . عدل بما يأمر . عدل بما ينهى . عالم بما يأمر . عالم بما ينهى * وقال الامام أحمد الناس يحتاجون الى مداراة ورفق فى الأمر بالمعروف بلا غلظة الا رجلا معلنا بالفسق فانه لاصبر عليه (١) وكان كثير من السلف لايأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر الا سرا فيما بينه وبين من يأمره وينهاه (٢) وقال أبو الدرداء : من وعظ أخاه سرا فقد زانه ومن وعظه علانية فقد شانه *

وكذلك مقابلة الأذى بالاناة القول كما قال تعالى : (ادفع بالتى هى أحسن السيئة) وقال تعالى : (ويدرءون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار) قال بعض السلف : هو الرجل يسبه الرجل فيقول له ان كنت صادقا فغفر الله لى وان كنت كاذبا فغفر الله لك قال رجل لسالم بن عبد الله وقد زحمت راحلته فى سفر : ما أراك الا رجل سوء فقال له سالم : ما أراك أبعدت ، وقالت امرأة لمالك بن دينار يا مرائى قال متى عرفت اسمى؟ ما عرفه أحد من أهل البصرة غيرك ، ومر بعضهم على صبيان يلعبون بجوز فوطىء على

---

(١) وفى نسخة فانه لاحرمة له

(٢) لينفذ قوله الى أعماق قلبه وهذا دليل على أن الناصح غايته النصح وان يعدل عن غيه الى طريق الصواب لهذا يكلمه سرا وغالب الذين يظهرون القسوة والغلظة عند النهى يريدون أن يظهروا فضلهم أو علمهم أو تقواهم أو أنهم يحسنون القول وهذا نوع من الرياء حفظنا الله منه ، وجماع هذا ماقاله أبو الدرداء رضى الله عنه بعد هذه العبارة

بعض الجوز بغيرا ختياره فكسره فقال له الصبي ياشيخ النار فجلس الشيخ يبكي ويقول ماعرفني غيره ، ومر بعضهم مع أصحابه في طريق فرموا عليهم رمادا فقال الشيخ لأصحابه من يستحق النار فصالحوه على الرماد يعني فهو رابح ، ورأى جندي ابراهيم بن أدهم خارج البلد فسأله عن العمران فاشار له الى القبور فضرب رأسه ومضى فقيل له انه ابراهيم بن أدهم فرجع يعتذر اليه فقال له ابراهيم الرأس الذي يحتاج الى اعتذارك تركته ببلخ ، ومر به جندي آخر وهو ينظر بستانا لقوم باجرة فساله أن يناوله شيئا فلم يفعل وقال ان أصحابه لم يأذنوا في ذلك فضرب رأسه فجعل ابراهيم يطأطيء رأسه وهو يقول اضرب رأسا طالما عصى الله ٥

من أجلك قد جعلت خدي أرضا للشامت والحسود حتى ترضى

﴿ الثالث من الدرجات ﴾ الصلاة بالليل والناس نيام فالصلاة بالليل من موجبات الجنة كما سبق ذكره في غير حديث وقد دل عليه قوله عز وجل (إن المتقين في جنات وعيون آخذين ما آتاهم ربهم إنهم كانوا قبل ذلك محسنين كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون وفي أموالهم حق للسائل والمحروم) فوصفهم بالتيقظ بالليل والاستغفار بالأسحار وبالانفاق من أموالهم ٥

كان بعض السلف نائما فأتاه آت في منامه فقال له قم فصل أما علمت أن مفاتيح الجنة مع أصحاب الليل هم خزانها وقيام الليل يوجب علو الدرجات في الجنة قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: (ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا) فجعل جزاءه على التهجد بالقرآن بالليل أن يبعثه المقام المحمود وهو أعلى درجاته صلى الله عليه وسلم ٥ قال عون بن عبد الله ان الله يدخل الجنة أقواما فيعطيهم حتى يملوا فوقهم ناس

فى الدرجات العلى فلما نظروا اليهم عرفوهم(١) فقالوا ربنا اخواننا كنا معهم فبم فضلتهم علينا؟ فيقول هيهات هيهات انهم كانوا يجوعون حين تشبعون ويظمئون حين تروون ويقومون حين تنامون ويشخصون حين تخفضون ، ويوجب أيضا نعيم الجنة مالم يطلع عليه العباد فى الدنيا قال الله عز وجل: (تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) وفى الصحيح عن النبى ﷺ قال يقول الله عز وجل: «أعددت لعبادى الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر اقرءوا ان شئتم (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون)» قال بعض السلف: أخفوا لله العمل فأخفى الله لهم الجزاء فلو قدموا عليه لاقر تلك الاعين عنده *

ومما يجزى به المتهجدين فى الليل كثرة الأزواج من الحور العين فى الجنة فان المتهجد قد ترك لذة النوم بالليل ولذة التمتع بازواجه طلبا لما عند الله عز وجل فعوضه الله تعالى خيرا مما تركه وهو الحور العين فى الجنة ، ومن هنا قال بعضهم :طول التهجد مهور الحور العين فى الجنة ،وكان بعض السلف يحيي الليل بالصلاة ففتر عن ذلك فأتاه آت فى منامه فقال له قد كنت يافلان تدأب فى الخطبة فما الذى قصر بك عن ذلك ؟ قال وماذاك ؟ قال كنت تقوم من الليل أوما علمت أن المتهجد اذا قام الى التهجد قالت الملائكة قد قام الخاطب الى خطبته *

ورأى بعضهم فى منامه امرأة لاتشبه نساء الدنيا فقال لها: من أنت ؟ قالت حوراء أمة الله فقال لها زوجيني نفسك قالت اخطبني الى سيدى وامهرني قال وما مهرك؟ قالت طول التهجد ، قام بعض المتهجدين ذات ليلة فرأى

---

(١) فى نسخة فلما رأوهم *

فى منامه حوراء تنشد :

أتخطب مثلى وعني تنام ونوم المحبين عنا حرام
لأنا خلقنا لكل امرىء كثير الصلاة براه الصيام(١)

وكان لبعض السلف ورد من الليل فنام عنه ليلة فرأى فى منامه جارية كأن وجهها القمر(٢) ومعها رق فيه كتاب فقالت: أتقرأ؟ قال: نعم فأعطته اياه ففتحه فاذا فيه مكتوب .

اتلهو بالكرى عن طيب عيش مع الخيرات فى غرف الجنان
تعيش مخلدا لاموت فيه وتنعم فى الجنان مع الحسان
تيقظ من منامك ان خيرا من النوم التهجد بالقران

فاستيقظ قال: فوالله ماذكرتها الا ذهب عنى النوم .

كان بعض الصالحين له ورد فنام عنه فوقف عليه فتى فى منامه فقال له بصوت محزون :

تيقظ لساعات من الليل يافتى لعلك تحظى فى الجنان بحورها
فتنعم فى دار يدوم نعيمها محمد فيها والخليل يزورها
فقم فتيقظ ساعة بعد ساعة عساك توفى مابقى من مهورها

كان بعض السلف الصالحين كثير التعبد فبكى شوقا الى الله عز وجل ستين سنة فرأى فى منامه كأنه على ضفة نهر يجرى بالمسك حافتاه شجر لؤلؤ ونبت من قضبان الذهب فاذا بحوار مزينات يقلن بصوت واحد: سبحان المسبح بكل لسان سبحانه . سبحان الموحد بكل مكان سبحانه. سبحان الدائم فى كل الأزمان سبحانه. فقال لهن: ماتصنعن ههنا؟ فقلن :

برانا إله الناس رب محمد لقوم على الاقدام بالليل قوّم

---

(١) اى انحله واهزله (٢) فى النسخة النجدية (كالقمر)

يناجون رب العالمين إلههم وتسرى هموم القوم والناس نوّم

فقال: بخ بخ لهؤلاء من هم لقد أقر الله أعينهم بكن فقلن: أوما تعرفهم؟ قال: لا فقلن: بلى هؤلاء المتهجدون أصحاب القرآن والسهر ٥

وكان بعض الصالحين ربما نام فى تهجده فتوقظه الحوراء فى منامه فيستيقظ بايقاظها، وروى عن أبى سليمان الدارانى أنه قال: ذهب بى النوم ذات ليلة فى صلاتى فاذا بها - يعنى الحوراء - تنبهنى وتقول: ياأباسليمان أترقد وأنا أربى لك فى الخدر (١) منذ خمسمائة سنة؟ وفى رواية عنه أنه نام ليلة فى سجوده قال: فاذا بها قد ركضتنى برجلها وقالت: حبيبى أترقد عيناك والملك يقظان ينظر الى المتهجدين فى تهجدهم بؤسا لعين آثرت لذة نوم على مناجاة العزيز قم فقد دنا الفراغ ولقى المحبون بعضهم بعضا فما هذا الرقاد ياحبيبى وقرة عينى؟ اترقد عيناك وانا اربى لك فى الخدور منذ خمسمائة عام؟ فوثب فزعا وقد عرق من توبيخها له قال: وان حلاوة منطقها لفى سمعى وقلبى ٥

وكان ابو سليمان يقول: اهل الليل فى ليلهم ألذ من اهل اللهو فى لهوهم (٢)

---

(١) وفى نسخة فى الخدور كما سيأتى قريبا

(٢) وذلك لان اهل الليل طامعون فى مرضاة الله تعالى وهو دائم لا يزول ولا يفنى لا تخفى عليه خافية مما يعلنون وما يسرون فهم متيقنون ان كل ما اضمرته نفوسهم أو عملته جوارحهم ولم يطلع عليه احد سواهم فالله عالم به وخبير بمكانهم ومناجاتهم وقد نسوا الجسد واقبلوا على تصفية الروح وتخليصها من الاكدار فهاموا بنور المعرفة وثملوا من رحيق الوصول الذى كافأهم ربهم به على عباداتهم فلا بدع ان يكونوا ألذ من اهل اللهو الذين لذتهم بدوام مدة اللهو ولا يجهل احد قصرها وما ينجم عنها من الندم والعض على الاصبع والمشاجرة والنزاع والخصام وان تسنى للاهى ان

ولولا الليل ماأحببت البقاء فى الدنيا ،وقال يزيد الرقاشى لحبيب العجمى : ماأعلم شيئا اقر لعيون العابدين فى الدنيا من التهجد فى ظلمة الليل وماأعلم شيئا من نعيم الجنان وسرورها ألذ عند العابدين ولاأقر لعيونهم من النظر الى ذى الكبرياء العظيم اذا رفعت تلك الحجب وتجلى لهم الكريم فصاح حبيب عند ذلك وخر مغشيا عليه ٭ وكان السرى يقول : رأيت الفوائد ترد فى ظلام الليل ٭ وقال أبو سليمان: اذا جن الليل وخلا كل محب بحبيبه افترش أهل المحبة أقدامهم وجرت دموعهم على خدودهم أشرف الجليل جل جلاله فنادى ياجبريل بعينى من تلذذ بكلامى واستروح الى مناجاتى ناد فيهم ياجبريل ماهذا البكاء هل رأيتم حبيبا يعذب أحباءه أم كيف يجمل بى أن اعذب قوما اذا جنهم الليل تملقونى؟فبى حلفت اذا قدموا على يوم القيامة لأكشفن لهم عن وجهى ينظرون الى وأنظر اليهم ٭ (١)

وسئل الحسن البصرى لم كان المتهجدون أحسن الناس وجوها؟قال : لانهم خلوا بالرحمن فالبسهم نورا من نوره ، رأت امرأة من الصالحات فى منامها كأن حللا قد فرقت على أهل مسجد محمد بن جحادة فلما انتهى الذى يفرقها اليه دعا بسفط مختوم فاخرج منه حلة صفراء قالت: فلم يقم

ينال فى لحظة لذة فلا يستفيد منها الا جسده وأما الروح فانها فى سجن ضيق وكرب عظيم لما تدرى ان النتيجة هى خسران فى الدنيا وعذاب فى الآخرة فينادى لسان حالها طوبى للعباد لذة فى الدنيا ونعيم فى عقباهم ورضاء سيدهم ومولاهم ذى الجلال والاكرام عليهم

(١) واليه الاشارة فى قوله تعالى : (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) وفسره كثير من أهل العلم بانه عبارة عن الرؤية والنظر كما فسروا قوله تعالى : (ورضوان من الله أكبر)

لها بصرى فكساه إياها وقال : هذه لك بطول الدهر قالت : فوالله لقد كنت أراه - تعنى محمد بن جحادة - بعد ذلك فأتخايلها عليه - تعنى تلك الحلة - ٥

قال كرز بن وبرة: بلغنى أن كعباقال: ان الملائكة ينظرون من السماء الى الذين يتهجدون بالليل كما تنظرون أنتم الى نجوم السماء ٥

يانفس فاز الصالحون بالتقى وأبصروا الحق وقلبى قد عمى
ياحسنهم والليل قد أجنهم ونورهم يفوق نور الأنجم
ترنموا بالذكر فى ليلهم فعيشهم قد طاب بالترنم
قلوبهم للذكر قد تفرغت دموعهم كلؤلؤ منظم
أسحارهم بهم لهم قد أشرقت وخلع الغفران خير المقسم

فى بعض الآثار يقول الله عز وجل كل ليلة : ياجبريل أقم فلانا وأنم فلانا . قام بعض الصالحين فى ليلة باردة وكان عليه خلقان رثة فضربه البرد فبكى فسمع هاتفا يقول : أقمناك وأنمناهم ثم تبكى علينا ٥

تنبهوا يا أهل وادى المنحنى كم ذا الكرى هب نسيم وجدى
كم بين خال وجو وساهر وراقد وكاتم ومعبدى

قيل لابن مسعود مانستطيع قيام الليل قال أبعدتكم ذنوبكم ٥ وقيل للحسن أعجزنا قيام الليل قال: قيدتكم خطاياكم انما يؤهل الملوك للخلوة بهم ومخاطبتهم من يخلص فى ودادهم ومعاملتهم فأما من كان من أهل مخالفتهم فلا يرضونه لذلك ٥

الليل لى ولأحبابى أحادثهم قد اصطفيتهم كى يسمعوا ويعوا
لهم قلوب بأسرارها ملئت على ودادى وارشادى لهم طبعوا
قد أثمرت شجرات الفهم عندهم فما جنوا إذ جنوا انما به ارتفعوا
سروا فاوهنوا عجزا وماضعفوا وواصلوا حبل تقريبى فاانقطعوا

﴿ الفصل الثالث ﴾ فى ذكر الدعوات المذكورة فى هذا الحديث وهى «اللهم انى أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين وأن تغفرلى وترحمنى واذا أردت (١) بقوم فتنة فاقبضنى اليك غير مفتون واسألك حبك وحب من يحبك وحب العمل الذى يبلغنى حبك فقال النبى ﷺ : تعلموهن وادرسوهن فانهن حق » هذا دعاء عظيم من أجمع الأدعية وأكملها فقوله صلى الله عليه وسلم : « أسألك فعل الخيرات

---

(١) ـ واذا أردت بقوم فتنة ـ فتوفنى غير مفتون هذه الفقرة من جوامع الأدعية وفيها الخير العظيم لمن أمعن النظر بدقائقها وذلك لانها برهان ساطع على صحة ايمان الذى دعا بها وذلك لانه رضى بذهاب الروح من جسده وقدمها ضحية وقربانا ليتخلص من فتنة قد تكون سببا لعذاب دائم فلولا انه مؤمن حقا لما فادى بحياته واختار الموت فهو مؤمن بالله واليوم الآخر والعذاب والنعيم وبلغت منه الخشية ان يختار الموت على عيشة ممزوجة بالفتنة علما ان التيار لا يمكن الوقوف امامه فاذا حصل بقوم فتنة فانه يعلم ان قيامه فى وجه هذه الفتنة قد لا يجديه نفعا اذا سرى مرضها فى النفوس واشتد غضب الله عليهم ولذلك استعد للامر قبل وقوعه وتهيأ للشدة قبل حصولها فدعا من ربه القادر وحده على تخليصه من هذه المصيبة كى لا تصيبه نار الفتنة فلا يختار الدنيا على الآخرة بل لا يرضى ان يعرض نفسه لاخطار النقمة الالهية فما أشد ايمانه وما أخلصه لربه وما احسن اعتقاده. فهم الحياة الدنيا وأدرك معنى آية (وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور) لهذا اختار الموت قبل أن تقع الفتنة حيث يقول واذا أردت كى لا يتلوث من أوساخها فيموت غير مفتون ليسكن جنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين .

وترك المنكرات » يتضمن طلب كل خير وترك كل شر فان الخيرات تجمع كل مايحبه الله تعالى ويقرب منه من الاعمال والاقوال من الواجبات والمستحبات ، والمنكرات تشمل كل مايكرهه الله تعالى ويباعد عنه من الاقوال والأعمال فمن حصل له هذا المطلوب حصل له خير الدنيا والآخرة ، «وقد كان النبي ﷺ يحب مثل هذه الادعية الجامعة قالت عائشة : كان النبي ﷺ يعجبه الجوامع من الدعاء ويدع مابين ذلك » . خرجه أبو داود ٥

وقوله : وحب المساكين هذا قد يقال انه من جملة فعل الخيرات وانما أفرده بالذكر لشرفه وقوة الاهتمام به كما أفرد ايضا ذكر حب الله تعالى وحب من يحبه وحب عمل يبلغه الى حبه وذلك أصل فعل الخيرات كلها ، وقد يقال انه طلب من الله عز وجل أن يرزقه أعمال الطاعات بالجوارح وترك المنكرات بالجوارح وأن يرزقه مايوجب له ذلك وهو حبه وحب من يحبه وحب عمل يبلغه حبه فهذه المحبة بالقلب موجبة لفعل الخيرات بالجوارح ولترك المنكرات بالجوارح وسأل الله تعالى أن يرزقه المحبة فيه فقد تضمن هذا الدعاء سؤال حب الله عز وجل وحب أحبابه (١) وحب الأعمال التي تقرب من حبه والحب فيه وذلك يقتضي فعل الخيرات كلها ويتضمن

---

(١) ليستفيد من اعمالهم وأطوارهم مشاهدة ويعلمونه بحالهم ولا يحرم من الرحمة التي تنزل على أحبابه ولا تنقطع عنهم لأن سنة الله في خلقه أن المرء يقلد من تكثر مخالطته له بشعور وبغير شعور وارادة ، ولهذا يقول طرفة بن العبد الجاهلي :

عن المرء لاتسال وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدى

ولاشك انه لاغاية له من حب أحباب الله تعالى : إلا ليقتدى بهم

ترك المنكرات والسلامة من الفتن، وذلك يتضمن اجتناب الشر كله فجمع هذا الدعاء طلب خير الدنيا وتضمن سؤال المغفرة والرحمة وذلك يجمع خير الآخرة كله فجمع هذا الدعاء خيرى الدنيا والآخرة *

والمقصود ان حب المساكين أصل الحب فى الله تعالى لأن المساكين ليس عندهم من الدنيا ما يوجب محبتهم لأجله فلا يحبون الا الله عز وجل والحب فى الله من أوثق عرى الايمان ومن علامات ذوق حلاوة الايمان وهو صريح الايمان وهو أفضل الايمان، وهذا كله مروى عن النبى ﷺ أنه وصف به الحب فى الله تعالى، وروى عن ابن عباس أنه قال: «به تنال ولاية الله وبه يوجد طعم الايمان» وحب المساكين قد أوصى به النبى ﷺ غير واحد من أصحابه قال أبو ذر: أوصانى رسول الله ﷺ أن أحب المساكين وان أدنو منهم - خرجه الامام أحمد، وخرج الترمذى عن عائشة أن النبى ﷺ قال لها: «ياعائشة أحبى المساكين وقربيهم فان الله يقربك يوم القيامة» * ويروى أن داود عليه السلام كان يجالس المساكين ويقول يارب مسكين بين مساكين *

وينتظم فى سلكهم اذ لولا رضاؤه عن حركتهم واستحسانه خطتهم لما طلب من الله أن يخرطه فى عدادهم ولاشك أنه بطلبه حبهم يعنى بذلك حب الله تعالى وليكونوا عونا له على ذلك فقد قال تعالى عن لسان موسى عليه السلام: (واجعل لى وزيرا من أهلى هرون أخى اشدد به أزرى وأشركه فى أمرى كى نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا) وقال تعالى فى آية أخرى: (سنشد عضدك بأخيك) فما غاية الحب الا التعاون على عبادة الله وليكونوا رفقاءه فى السير الى الله لأن الذئب لايأكل من الغنم الا القاصية قال تعالى: (وتعاونوا على البر والتقوى)

ولم يزل السلف الصالح يوصون بحب المساكين - كتب سفيان الثورى الى بعض اخوانه - عليك بالفقراء والمساكين والدنو منهم فان رسول الله ﷺ كان يسأل ربه حب المساكين وحب المساكين مستلزم لاخلاص العمل لله تعالى والاخلاص هو أساس الأعمال الذى لاتثبت الأعمال الا عليه فان حب المساكين يقتضى اسداء النفع اليهم بما يمكن من منافع الدين والدنيا فاذا حصل اسداء النفع اليهم حبالهم والاحسان اليهم كان هذا العمل خالصا وقد دل القرآن على ذلك قال الله تعالى :(ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا انما نطعمكم لوجه الله لانريد منكم جزاءا ولاشكورا) وقال عز وجل : (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ماعليك من حسابهم من شيء ومامن حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين) وقال تعالى : (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا) *

قال سعد بن أبى وقاص: نزلت هذه الآية فى ستة فى . وفى ابن مسعود . وصهيب . وعمار : والمقداد . وبلال . قالت قريش لرسول الله ﷺ : أنا لانرضى أن نكون أتباعا لهم فاطردهم عنك فانزل الله عز وجل : (ولاتطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه) الآية *

وقال خباب بن الأرت فى هذه الآية « جاء الاقرع بن حابس . وعيينة بن حصن فوجدا رسول الله ﷺ مع صهيب وعمار و بلال وخباب قاعدا فى ناس من الضعفاء من المؤمنين فلما رأوهم حول النبى صلى الله عليه وسلم حقروهم فأتوه فخلوا به وقالوا انا نريد ان نجعل لنا منك مجلسا تعرف لنا به العرب فضلنا فان وفود العرب تأتيك فنستحي

أن ترانا مع هؤلاء الأعبد فاذا نحن جئناك فأقمهم عنك فاذا نحن فرغنا فاقعد معهم ان شئت قال: نعم قالوا: فاكتب لنا عليك كتابا قال. فدعا بصحيفة ودعا عليا ليكتب ونحن قعود فى ناحية فنزل جبريل عليه السلام فقال: (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شىء وما من حسابك عليهم من شىء فتطردهم فتكون من الظالمين) ثم ذكر الأقرع بن حابس. وعيينة بن حصن فقال: (وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين) ثم قال: (واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة) قال: فدنونا منه حتى وضعنا ركبنا على ركبتيه وكان رسول الله ﷺ يجلس معنا فاذا أراد أن يقوم قام وتركنا فأنزل الله عز وجل (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم) ولا تجالس الأشراف (ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا) يعنى عيينة. والأقرع قال خباب: فكنا نقعد مع النبى ﷺ فاذا بلغنا الساعة التى يقوم قمنا وتركناه حتى يقوم» خرجه ابن ماجه. وغيره.

وكان النبى ﷺ يعود المرضى من مساكين أهل المدينة ويشيع جنائزهم. وكان لا يأنف أن يمشى مع الأرملة والمسكين حتى يقضى حاجتهما وعلى هذا الهدى كان أصحابه من بعده والتابعون لهم باحسان.

وروى عن أبى هريرة قال: كان جعفر بن أبى طالب يحب المساكين. ويجلس اليهم ويحدثهم ويحدثونه وكان النبى صلى الله عليه وسلم يكنيه أبا المساكين، وفى رواية أنه كان يطعمهم وربما أخرج لهم عكة (١) فيها العسل.

---

(١) - هى بضم العين المهملة وتشديد الكاف المفتوحة - وعاء من جلود مستدير يختص بالسمن والعسل وهو بالسمن اخص.

فشقوها ولعقوها، وكانت زينب بنت خزيمة أم المومنين تسمى أم المساكين لكثرة احسانها اليهم، توفيت فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم، وقال ضرار ابن مرة فى وصف على بن أبى طالب فى أيام خلافته : كان يعظم أهل الدين ويحب المساكين ، ومر ابنه الحسن رضى الله عنهما على مساكين يأكلون فدعوه فأجابهم وأكل معهم وتلا (انه لايحب المستكبرين) ثم دعاهم الى منزله فأطعمهم وأكرمهم ، وكان ابن عمر لايأكل غالبا الامع المساكين وكان يقول لعل بعض هؤلاء أن يكون ملكا يوم القيامة ، وجاء مسكين أعمى الى ابن مسعود وقد ازدحم الناس عنده فناداه ياأبا عبد الرحمن آويت أرباب الخز واليمنية(١) واقصيتنى لاجل أنى مسكين فقال له: أدنه فلم يزل يدنيه حتى أجلسه الى جانبه أو بقربه، وكان مطرف بن عبد الله يلبس الثياب الحسنة ثم يأتى المساكين ويجالسهم ، وكان سفيان الثورى يعظم المساكين ويجفو أهل الدنيا فكان الفقراء فى مجلسه هم الأغنياء والأغنياء هم الفقراء ، وقال سليمان التيمى كنا اذا طلبنا علية أصحابنا (٢) وجدناهم عند الفقراء والمساكين ٠

وقال الفضيل: من أراد عز الآخرة فليكن مجلسه مع المساكين ، ومن فضائل المساكين أنهم أكثر أهل الجنة كما قال النبى صلى الله عليه وسلم : « قمت على باب الجنه فاذا عامة من دخلها المساكين » وقال صلى الله عليه وسلم: « تحاجت الجنة والنار فقالت الجنة لايدخلنى الا الضعفاء والمساكين» وسئل النبى ﷺ عن أهل الجنة فقال : « كل ضعيف مستضعف » وهم أول الناس دخولا الجنة كما صح عنه ﷺ « أن الفقراء يسبقون الأغنياء الى الجنة بأربعين عاما - وفى رواية - أنهم يدخلون الجنة بنصف يوم وهو خمسمائة سنة » وهم أول الناس اجازة على الصراط » كما صح عنه ﷺ

---

(١) كذا فى جميع الاصول والمعنى ظاهر من السياق (٢) اى اجلة ٠

« أنه سئل من أول الناس اجازة على الصراط فقال : «فقراء المهاجرين» وهم أول الناس ورودا على الحوض كما قال صلى الله عليه وسلم : « أول الناس ورودا عليه فقراء المهاجرين الدنسة رءوسهم الشعثة ثيابهم الذين لاينكحون المتنعمات ولاتفتح لهم السدد » (١) وهم اتباع الرسل كما أخبر الله تعالى عن نوح عليه السلام أن قومه عيروه باتباع الضعفاء له فقالوا : (أنؤمن لك واتبعك الأرذلون) وكذلك قال هرقل لأبى سفيان لما سأله عن النبى ﷺ : وهل يتبعه أشراف الناس أم ضعفاؤهم؟ فقال: بل ضعفاؤهم قال هرقل : هم أتباع الرسل وهم أفضل من الأغنياء عند كثير من العلماء

---

(١) السدد جمع السدة وهى الباب اى لاتفتح لهم الابواب لاحتقار الناس لهم ظنا منهم ان الانسان بزيه أو بلباسه أو بقيافته بل ليس الانسان هذا الهيكل المحتوى على اللحم والدم والعصب والعظام لانه يساويه فيه بقية الحيوان بل قد يزيد عليه جسامة وقوة كالفيل والأسد وانما الانسان بروحه تلك الجوهر اللطيف الذى يتمركز بهذا الهيكل الصورى فانه الذى يستحق التعظيم والتبجيل اوالاهانة والتحقير بل لو انصف من وقف على مبادى. علم النفس لعلم ان الانسان عبارة عن مجموعة فضائل حلت فى هذا الجسد وانما الذى انشأ مانراه من الاعمال الشريرة فهى غلبة الجسد المادى على الروح ولذلك قال تعالى: (ويحرم عليهم الخبائث) كى لايضعف سلطان الروح بغذاء الحرام والى ماقلناه أولا نستدل بحديث رواه أصحاب السنن . والطبرانى . والبيهقى عن الأسود بن سريع قال: قال رسول الله ﷺ : « كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه فابواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » اه فلا تثريب علينا بعد هذا اذا قلنا: أن الانسان بحد ذاته مجموعة فضائل وكمالات .

أو أكثرهم، وقد دل على ذلك أدلة كثيرة منها قول النبي ﷺ حين مر به الغني والمسكين في المسجد : هذا - يعني المسكين - خير من ملء الأرض مثل هذا - يعني الغني - وقد خرجه البخاري وغيره (١) ومنهم من لو أقسم على الله لأبره كما في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال في أهل الجنة: « كل ضعيف مستضعف لو أقسم على الله لأبره » وفي رواية « أشعث ذو طمرين » وفي رواية خرجها ابن ماجه « أنهم ملوك أهل الجنة » وفي الحديث المشهور «رب أشعث أغبر ذي طمرين مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره » خرجه الحاكم وغيره

رب ذي طمرين نضو يأمن العالم شره
لا يرى الا غنيا وهو لا يملك ذره
ثم لو أقسم في شيء على الله أبره

قال ابن مسعود : كونوا جدد القلوب خلقان الثياب سرج الليل مصابيح الظلام تعرفون في أهل السماء وتخفون على أهل الأرض .

طوبى لعبد بحبل الله معتصمه على صراط سوى ثابت قدمه
رث اللباس جديد القلب مستتر في الأرض مشتهر فوق السماء وسمه
مازال يستحقر الاولى بهمته حتى يرقى الى الاخرى به همه
فذاك أعظم من التاج متـ ـوجا على النمارق محتفا به خدمه

واعلم أن محبة المساكين لها فوائد كثيرة منها أنها توجب اخلاص العمل لله عز وجل لان الاحسان اليهم لمحبتهم لا يكون الا لله عز وجل لأن نفعهم في الدنيا لا يرجى غالبا فاما من أحسن اليهم ليمدح بذلك فما أحسن اليهم حبا لهم بل حبا لأهل الدنيا وطلبا لمدحهم له بحب

---

(١) هو في صحيح البخاري ج ٧ ص ١٢

لمساكين ومنها أنها تزيل الكبر فان المتكبر لا يرضى بمجالسة المساكين كما سبق عن رؤساء قريش والأعراب ومن حذا حذوهم من هذه الأمة ممن تشبه بهم حتى أن بعض علماء السوء كان لا يشهد الصلاة فى جماعة خشية أن تزاحمه المساكين فى الصف و يمتنع بسبب هذا الكبر فيفوته خير كثير جدا فان مجالس الذكر والعلم تقع فيها كثيرا مجالسة المساكين فانهم أكثر هذه المجالس فيمتنع المتكبر من هذه المجالس بتكبره وربما كان المسموع منه الذكر والعلم من جملة المساكين فيأنف اهل الكبر من التردد الى مجلسه كذلك فيفوتهم خير كثير وقد أخبر الله تعالى عن المشركين أنهم قالوا: (لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) يشيرون الى عظماء مكة والطائف كعتبة بن ربيعة واخيه شيبة ونحوهما من صناديد قريش وثقيف ذوى الأموال والشرف فيهم ممن كان أكثر مالا من محمد ﷺ وأعظم رياسة عندهم (١) ورد عليهم

---

(١) لم يكن عتبة اعظم رآسة عند قريش ومعاذ الله ان يكون ذلك ولا يوافق التاريخ نفسه على مايدعيه المصنف فى هذه الكلمة البعيدة فان بنى هاشم اشرف من الامويين جاهلية واسلاما وان مفاخرة هاشم مع امية فخلا هاشم امية الى عسقلان وبقى منفيا عشر سنين ليست مجهولة ولا ننكر ان المؤلف اراد أن يبين منزلة الفقير وعلوها فقدح فى هذا النسب ونسى انه ﷺ حفيد عبد المطلب شيخ قريش على الاطلاق ولذا كلفت قريش النبى صلى الله عليه وسلم بواسطة ابى طالب ان يسودوه ويعدل عن شتم آلهتهم فاذن لم يقولوا لولا نزل الا عنادا * روى مسلم فى صحيحه . والترمذى فى سننه عن واثلة بن الاسقع قال قال رسول الله ﷺ « ان الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم » ٥

سبحانه بأنه يقسم رحمته كما يشاء وأنه كما رفع درجات بعضهم على بعض فى الدنيا فكذلك يرفعها فى الآخرة بالنبوة والعلم والايمان خير مما يجمعونه من الأموال التى تفنى فهو يخص بهذه الرحمة الدينية من يشاء ويرفعه على أهل النعم الدنيوية وقد خص محمدا صلى الله عليه وسلم بما لم يشركه فيه غيره من هذه النعم كما قال تعالى له :(وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما) *

وقد كان على بن الحسين يجلس فى مجلس زيد بن أسلم فيعاتب على ذلك فيقول: انما يجلس المرء حيث يكون له فيه نفع أو كما قال يشير الى أنه ينتفع بسماع مايسمعه من العلم والحكمة ، وزيد بن أسلم أبوه مولى لعمر ، وعلى ابن الحسين سيد بنى هاشم وشريفهم *

ولما اجتمع الزهرى . وأبو حازم الزاهد بالمدينة عند بعض بنى أمية لما حج - وسمع الزهرى كلام أبى حازم وحكمته أعجبه ذلك وقال: هو جارى منذ كذا و كذا وما جالسته ولا عرفت أن هذا عنده فقال له أبو حازم : أجل انى من المساكين ولو كنت من الأغنياء لعرفتنى فوبخه بذلك ، وفى رواية عنه أنه قال له لو أحببت الله أحبتنى ولكنك نسيت الله فنسيتنى يشير الى ان من أحب الله تعالى أحب المساكين من أهل العلم والحكمة لاجل محبته لله تعالى ومن غفل عن الله تعالى غفل عن أوليائه من المساكين فلم يرفع لهم رأسا ولم ينتفع بما اختصهم الله عز وجل به من الحكمة والعلوم النافعة التى لا توجد عند غيرهم من أهل الدنيا *

وقد كان علماء السلف يأخذون العلم عن أهله والغالب عليهم المسكنة وعدم المال والرفعة فى الدنيا ويدعون أهل الرياسات والولايات فلا

يأخذون عنهم ماعندهم من العلم (١) بالكلية * ومنها انه يوجب صلاح القلب وخشوعه ، وفى المسند عن ابى هريرة أن رجلا شكى الى رسول الله ﷺ قسوة قلبه فقال له « ان أحببت أن يلين قلبك فاطعم المسكين وامسح رأس اليتيم » . ومنها ان مجالسة المساكين توجب رضى من يجالسهم برزق الله عز وجل وتعظم عنده نعمة الله عز وجل عليه بنظره فى الدنيا الى من دونه ومجالسة الأغنياء توجب التسخط بالرزق ومد العين (٢) الى زينتهم وما هم فيه وقد نهى الله

---

(١) اذا لم يكونوا اهلا واما اذا كانوا اهلا فان الرآسة تزيد العالم شرفا وحسن اعتقاد . ويكون علمه انفذ لانه لالطمع ، ورآسة عمر ابن الخطاب رضى الله عنه وهو خليفة المسلمين لم تمنع الرواية عنهم بل ان حديث الأعمال بالنيات المشهور رواه البخارى فى أول صحيحه عن عمر وغير هذا الحديث كثير وان خلافة أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه لم تمنع العلماء ان يفتخروا بالرواية عنه حتى ولو كانوا من الناصبة فليس المدار على التقشف والعزلة عن الناس حيث يحتمل ان يكون مأجورا لأحد أرباب الولايات وقد يكون من غير المسلمين وشاهدنا ذلك فى عصرنا فتكون عزلته وتقشفه شبكة يصيد بها الناس ليبث افكاره الفاسدة وينشر مروياته المختلقة فالمدار على ان يكون اهلا للعلم ومعروفا بالتقوى الحقيقية سواء ولى الحكم أم لم يتوله فلو كانت عيبا لما قال الله تعالى على لسان سليمان عليه السلام : (رب هب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى) ولم يكن هذا نقصا ولا قدحا ومن جعل الرآسة وحدها سببا لعدم الرواية عن العالم التقى فلا شك انه عدو للاسلام بزى صديق لانه يريد ان ينشر الزلة بين المسلمين ويبقى امرهم فوضى او يودع الى الظلمة وولاة الجور وأرباب الفساد انا لله وانا إليه راجعون (٢) فى النسخة النجدية ومد الأعين »

عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال تعالى: (ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى) وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أنظروا الى من دونكم ولا تنظروا الى من فوقكم فانه أجدر ان لا تزدروا نعمة الله عليكم» قال أبو ذر: أوصاني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أنظر الى من دوني ولا أنظر الى من فوقي وأوصاني أن أحب المساكين وان ادنو منهم، وكان عون بن عبد الله ابن عتبة بن مسعود يجالس الأغنياء فلا يزال في غم لأنه لا يزال يرى من هو أحسن منه لباسا ومركبا ومسكنا وطعاما فتركهم وجالس المساكين فاستراح من ذلك * وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نهى عائشة عن مخالطة الأغنياء (١) وقال عمر: اياكم (٢) والدخول على أهل السعة فانه مسخطة للرزق، واعلم أن المسكين (٣) اذا أطلق يراد به غالبا من لا مال له يكفيه فان الحاجة توجب السكون والتواضع بخلاف الغنى فانه يوجب الطغيان ولهذا ذم الفقير المختال وعظم وعبده لأنه عصى بما ينافي فقره وهو الاختيال والزهو والكبر، ولما كان المسكين عند الأطلاق لا ينصرف الا الى من لا كفاية له من المال وصى الله تعالى بايثار المساكين واطعامهم الطعام ومدح من يطعمهم وذم من لا يحض على إطعامهم وجعل لهم حقا في أموال الصدقات والفيء وخمس الغنائم وحضور قسمة الأموال *

---

(١) ولا ادري قيمة هذه الرواية وعائشة بنت غني وزوجها اغنى العالم

(٢) اياكم خطاب للفقراء والا فان عبد الرحمن بن عوف من أغنى الصحابة كان جليسه ومشاوره وجعل في الشورى عثمان بن عفان ولم يمنعه غناه من الدخول في هذا السباق بل قد بايعوه فكيف يقول ذلك الان يكون خطابا لجماعة الفقراء المخصوصين (٣) في النسخة النجدية «واعلم ان المساكين» الخ

ومدح من يطعمهم وذم من لايحض على اطعامهم وجعل لهم حقافى أموال الصدقات والفيء وخمس الغنائم وحضور قسمة الأموال ٠

وهؤلاء المساكين على قسمين ، أحدهما من هو محتاج فى الباطن وقد أظهر حاجته للناس ، والثانى من يكتم حاجته ويظهر للناس أنه غنى فهذا اشرف القسمين ، وقد مدح الله عز وجل هذا فى قوله تعالى : (للفقراء الذين احصروا فى سبيل الله لايستطيعون ضربا فى الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لايسألون الناس إلحافا) وقال النبى ﷺ : « ليس المسكين بهذا الطواف الذى ترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان ولكن المسكين من لايجد مايغنيه ولايفطن له فيتصدق عليه » وقال بعضهم : هذا المحروم المذكور فى قوله عز وجل : (للسائل والمحروم)٠

فاخبر النبى ﷺ ان من كتم حاجته فلم يفطن له أحق باسم المسكين من الذى أظهر حاجته بالسؤال وانه أحق بالبر منه وهذا يدل على أنهم كانوا لايعرفون من المساكين الا من أظهر حاجته بالسؤال و بهذا فرق طائفة من العلماء بين الفقير والمسكين فقالوا : من أظهر حاجته فهو مسكين ومن كتمها فهو فقير ، وفى كلام الامام أحمد ايماء الى ذلك وان كان المشهور عنه أن التفريق بينهما بكثرة الحاجة وقلتها كقول كثير من الفقهاء وهذا حيث جمع بين ذكر الفقير والمسكين كما فى آية الصدقات فاما اذا أفرد أحد الاسمين دخل فيه الآخر عند الاكثرين ، وقد كان كثير من السلف يكتم حاجته ويظهر الغنى تعففا وتكرما ، منهم ابراهيم النخعى كان يلبس ثيابا حسناء ويخرج الى الناس وهم يرون أنه تحل له الميتة من الحاجة ٠

كان بعض الصالحين يلبس الثياب الجميلة وفى كمه مفتاح دار كبيرة ولا مأوى له الا المساجد ، وكان آخر لايلبس جبة فى الشتاء لفقره ويقول

بي علة تمنعني من لبس المخشو وانما يعني بها الفقر ـ شعر :

ان الكريم ليخفي عنك عسرته حتى تراه غنيا وهو مجهود

وكان بعكس هؤلاء من يلبس ثياب المساكين مع الغنى تواضعا لله عز وجل وبعدا من الكبر كما كان يفعله الخلفاء الراشدون الأربعة و بعدهم عمر بن عبد العزيز ، و كذلك كان جماعة من الصحابة منهم عبد الله بن عمر . وعبد الله بن عمرو بن العاص وغيرهما رضي الله عنهم ، وروي أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه كان ينشد :

اذا أردت شريف الناس كلهم فانظر الى ملك في زى مسكين

ذاك الذى حسنت في الناس سيرته وذاك يصلح للدنيا وللدين

وكان علي رضي الله عنه يعاتب على لباسه فيقول : هو أبعد عن الكبر وأجدر أن يقتدى بي المسلم ، وعوتب عمر بن عبد العزيز على ذلك فقال : ان أفضل القصد عند الجدة يعني أفضل ما اقتصد الرجل في لباسه مع قدرته ووجدانه *

وفي سنن أبي داود . وغيره عن النبي ﷺ أنه قال: « البذاذة من الايمان » يعني التقشف . وفي الترمذي عن النبي ﷺ « من ترك اللباس تواضعا لله عز وجل وهو يقدر عليه دعاه الله يوم القيامة حتى يخيره من أي حلل الجنة شاء يلبسها » وخرجه أبو داود من وجه آخر ولفظه « من ترك ثوب جمال وهو يقدر عليه ـ أحسبه قال تواضعا ـ كساه الله حلة الكرامة » *

وإنما يذم من ترك اللباس مع قدرته عليه بخلا على نفسه أو كتمانا لنعمة الله عز وجل وفي هذا جاء الحديث المشهور « ان الله اذا أنعم على عبد نعمة أحب أن يرى أثر نعمته على عبده » ومن لبس لباسا حسنا اظهارا لنعمة الله ولم يفعله اختيالا كان حسنا * وكان كثير من الصحابة

والتابعين يلبسون لباسا حسنا ، منهم ابن عباس . والحسن البصرى وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن الرجل يحب أن يكون لباسه حسنا ونعله حسنا قال ليس ذلك بالكبر انما الكبر بطر الحق وغمط الناس يعنى التكبر عن قبول الحق والانقياد له واحتقار الناس وازدراءهم فهذا هو الكبر وأما مجرد اللباس الحسن الخالى عن الخيلاء فليس بكبر ، واحتقار الناس مع رثاثة اللباس كبر ه

وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان ماشيا فى طريق وهناك أمة سوداء فقال لها رجل الطريق الطريق للنبى صلى الله عليه وسلم فقالت الطريق يمنة ويسرة فقال النبى ﷺ: «دعوها فانها جبارة (١) » خرجه النسائى وغيره ، وفى رواية الطبرانى وغيره قالوا يارسول الله انها يعنى مسكينة قال إن ذاك فى قلبها يعنى ان الكبر فى قلبها وان كان لباسها لباس المساكين ، وقال الحسن ان قوما جعلوا التواضع فى لباسهم والكبر فى صدورهم ان أحدهم أشد كبرا بمدرعته من صاحب السرير بسريره وصاحب المنبر بمنبره (٢) قال أحمد بن أبى الحوارى : قال لى سليمان بن أبى سليمان وكان

---

(١) وهل شىء أدم على غلوها فى الكبرياء والغرور من قولها هذا فقد استأثرت بالطريق وردت على من طلب منها الطريق لمير رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعلت غيرها يمر يمنة أو يسرة اما هى فلها وسط الطريق لاينبغى أن يزاحمها فيه احد وأنها جبارة بكل معنى الكلمة اذ تشهد الكمال فى نفسها وأما غيرها فلاتحب ان يعادلها وهذا هو عين الغرور رغما من لباسها الذى يدل على أنها مسكينة حتى غشت الصحابة فقالوا يارسول الله انها مسكينة ، وفى هذا خير عبرة لمن أراد أن يدرس حياة الاشخاص أو الشئون الاجتماعية فان اللباس لاقيمة له الا بنظر المغفل الذى لايفقه شيئا وأما الرجل الكامل فان هدفه صفاء الروح وكمال الاخلاق وتربية النفس وعلو الهمة لايهمه اللباس ولا تغره الظواهر بل يكون نظره مصوبا نحو الحقيقة

(٢) قوله : وصاحب المنبر بمنبره سقطت هذه الجملة من النسخة النجدية

يعدل بأبيه (١) أى شى أرادوا بثياب الصوف؟ قلت التواضع قال : وما يتكبر أحدهم الا اذا لبس الصوف؟ وقال أبو سليمان يكون ظاهرك قطنيا و باطنك صوفيا، وقال ابو الحسين بن بشار صوف قلبك والبس القوهى على القوهى يعنى رفيع الثياب، فمتى أظهر الانسان لباس المساكين لدعوى الصلاح ليشتهر بذلك عند الناس كان ذلك كبرا ورياء ، ومن هنا ترك كثير من السلف المخلصين اللباس المختص بالفقراء والصالحين وقالوا : انه شهرة ، ولما قدم سيار أبو الحكم البصرة لزيارة مالك بن دينار لبس ثيابا حسنة ثم دخل المسجد فصلى صلاة حسنة فرآه مالك ولم يعرفه فقال له ياشيخ انى أرغب بك عن هذه الثياب مع هذه الصلاة فقال له يامالك ثيابى هذه تضعنى عندك ام ترفعنى؟ قال بل تضعك فقال نعم الثوب ثوب يضع صاحبه عند الناس ولكن انظر يامالك لعل ثوبيك هذين يعنى الصوف أنزلاك عند الناس مالم ينزلاك من الله فبكى مالك وقام اليه واعتنقه وقال له أنشدك الله آنت سيار أبو الحكم؟ قال نعم ، فلهذا كره من كره من السلف كابن سيرين وغيره لباس الصوف حيث صار شعار الزاهدين فيكون لباسه اشهارا للنفس واظهارا للزهد ، وأما النبى ﷺ فكان يلبس ماوجد فتارة يلبس لباس الاغنياء من حلل اليمن وثياب الشام ونحوها وتارة يلبس لباس المساكين فيلبس جبة من صوف احيانا واحيانا يتزر بعباءة ويهيء لإبل الصدقة بيده يعنى أنه يطليها بيده ويصلحها كما يفعل أرباب الابل بها ولم يبعث الله نبيا

---

(١) أى أنه بلغ من الكمال أن جعل معادلا لابيه أبى سليمان الدارانى المشهور بالورع والتقوى والصلاح ، أى لما كان الصوف علامة الخشوع والتواضع فصوف قلبك أى اجتهد أن يكون خاشعاً متواضعاً ولاعبرة بظاهرك ولو لبست الثياب الغالية الثمن والتى تدل على الكبر والعظمة لأن الرجل لايكون انسانا بلباسه وانما هو بفضله وكماله وعبادته لله ونفعه لخلقه

من أهل الكبر وانما يبعث من لا كبر عنده ولا يتكبر عن معالجة الاشياء التى يأنف منها المتكبرون كرعاية الابل والغنم واجارة نفسه عند الحاجة الى الاكتساب ومن أعطاه الله منهم ملكا فانه لم يزل دأبه التواضع (١) لله عز وجل كداود وسليمان ومحمد صلى الله عليهم وسلم تسليما كثيرا.

وقد يطلق اسم المسكين ويراد به من استكان قلبه لله عز وجل وانكسر له وتواضع لجلاله وكبريائه وعظمته وخشيته ومحبته ومهابته وعلى هذا المعنى حمل بعضهم الحديث المروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال: «اللهم أحينى مسكينا وأمتنى مسكينا واحشرنى فى زمرة المساكين» خرجه الترمذى من حديث انس (٢) وخرجه ابن ماجه من حديث ابن عباس، وفى حمله على ذلك نظر لان فى تمام حديثيهما مايدل على أن المراد به المساكين من المال لانه ذكر سبقهم الاغنياء الى الجنة مع أن فى اسناد الحديثين ضعفا، وقد خير النبى ﷺ بين أن يكون نبيا ملكا أو عبدا رسولا فأشار اليه جبريل أن تواضع فقال بل عبدا رسولا وكان بعد ذلك لا يأكل متكئا ويقول «آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد» قال الحسن: قال رسول الله ﷺ: فأعطانى الله لذلك ان جعلنى سيد ولد آدم وأول شافع وأول مشفع وأول من تنشق عنه الأرض، وصح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال: «انما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله» فأشرف أسمائه عبد الله ولهذا سمى بهذا الاسم فى القرآن فى أفخر مقاماته فلما حقق ﷺ عبوديته لربه حصلت له السيادة على جميع الخلق، كان كثير من العارفين يقول فى مناجاته لربه كفى بى فخرا أنى لك عبد وكفى بى شرفا أنك لى رب، وكان بعضهم يقول كلما ذكرت أنه ربى وأنا عبده حصل لى من السرور مايصلح به بدنى:

---

(١) فى النسخة النجدية فانه يزداد تواضعا (٢) تكلم فى هذا الحديث ابن الجوزى وابن تيمية

شرف النفوس دخولها فى رقهم والعبد يحوى الفخر بالمتملك

وكان أبو يزيد البسطامى ينشد ٥

ياليتنى صرت شيئا من غير شىء اعد
أصبحت للكل مولى لأننى لك عبد

فمن انكسر قلبه لله عز وجل واستكان وخشع وتواضع جبره الله عز وجل [ورفعه بقدر ذلك] (١) وفى الاثر المشهور ان الله عز وجل قال لموسى على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام حين سأله أين أجدك ؟ قال: عند المنكسرة قلوبهم من أجلى فانى أدنو منهم كل يوم باعا ولولا ذلك لانهدموا (٢) وروى عن عبد الله بن سلام أنه فسره فقال هم المنكسرة قلوبهم بحب الله عن حب غيره ، وفى الحديث المشهور المرفوع « ان الله تعالى اذا تجلى لشىء من خلقه خشع له فاذا تجلى لقلوب العارفين عظمة الله وجلاله وكبرياؤه اندكت قلوبهم من هيبته وخشعت وانكسرت من محبته ومخافته :

مساكين أهل الحب حتى قبورهم عليها تراب الذل بين المقابر (٣)

---

(١) الزيادة من النسخة النجدية

(٢) وذلك لانهم عرضة لنوائب الدهر وهدف لسهام الاغنياء اذ أنهم آلة مسخرة لهم وقد جبل الانسان على الطمع فهو ان استخدم شيئا لمصلحة لابرحه وهؤلاء الفقراء لولا معونة الله ولطفه بهم لانهدموا أى لفقدوا وجودهم لكثرة مايقع لهم وما يحصل لهم من المشقات والمصائب ولكن رحمة الله خففت عنهم وجعلت لهم قوة لا يبالون معها فى كل ما يحدث

(٣) وهذا هو الواقع فانك اذا وصلت الرقة مصيف هرون الرشيد ومررت على المقبرة الواقعة على شاطىء الفرات قرب صفين فانك تجد قبر عمار بن ياسر الصحابى الجليل رضى الله عنه عليه آثار المسكنة فلا بناء ولا تشييد ولا تجصيص ولا يدلك عليه الا مهابة موقعه فى قلبك وجلالة نورانيته التى تتجلى على قبره مع أنك تجد فى جواره قريبا وبعيدا القبور الفخمة والقبب العظيمة لكثير من المشايخ ولا شك ان هذا دليل على حبه واخلاصه فان كثرة الزائرين والعارفين به لا يخطر على بال احدهم أن يبنى له قبة كسائر القبور او المعابد نعمة من الله عليه وكرامة له كى لا يفتتن به المسلمون

فالمسكين فى الحقيقة من استكان قلبه لربه وخشع من خشيته ومحبته ولا يكون المسكين ممدوحا بدون هذه الصفة فان من لم يخشع قلبه مع فقره وحاجته فهو جبار كتلك الأمة السوداء التى قال فيها النبى ﷺ انها جبارة وهو إما عائل مستكبر أو فقير محتال وكلاهما لا ينظر الله اليه يوم القيامة ، فالمؤمن من يستكين قلبه لربه ويخشع له ويتواضع ويظهر مسكنته وفاقته اليه فى الشدة والرخاء أما فى حال الرخاء فاظهار الشكر وأما فى حال الشدة فاظهار الذل والعبودية والفاقة والحاجة الى كشف الضر قال تعالى : (ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون) فذم من لا يستكين لربه عند الشدة ، وكان النبى ﷺ يخرج عند الاستسقاء متواضعا متخشعا متمسكنا وحبس لمطرف بن عبد الله قريب له فلبس خلقان ثيابه وأخذ بيده قصبة وقال أتمسكن لربى لعله يشفعنى فيه ، ومما يشرع فيه التمسكن لله عز وجل حال الصلاة كما فى حديث الفضل بن عباس عن النبى ﷺ قال : الصلاة مثنى مثنى تشهد فى كل ركعتين وتخشع وتضرع وتمسكن وتقنع يديك - يقول ترفعهما - وتقول يارب ثلاثا فمن لم يفعل ذلك فهى خداج خرجه الترمذى وغيره ، وكذلك يشرع اظهار المسكنة فى الدعاء ، خرج الطبرانى من حديث ابن عباس قال : رأيت النبى ﷺ يدعو بعرفة ويداه الى صدره كاستطعام المسكين ومن حديثه أيضا ان النبى ﷺ قال فى دعائه عشية عرفة : أنا البائس الفقير المستغيث المستجير الوجل المشفق المقر المعترف بذنبه أسألك مسألة المسكين وأبتهل اليك ابتهال المذنب الذليل وأدعوك دعاء الخائف الضرير ۞

وكان بعض السلف يجلس بالليل مطرقا رأسه ويمد يديه وهو ساكت كحال المسكين المستعطى ، وقال طاوس : دخل على بن الحسين الحجر ليلة فصلى فسمعته يقول فى سجوده عبيدك بفنائك مسكينك بفنائك فقيرك

بقنائك سائلك بفنائك قال: طاوس فحفظتهن فما دعوت بهن فى كرب الا فرج عنى ، وكان بعض العباد قد حج ثمانين حجة على قدميه فبينما هو فى الطواف وهو يقول ياحبيبى ياحبيبى فهتف هاتف ليس ترضى أن تكون مسكينا حتى تكون حبيبا فغشى عليه فكان بعد ذلك يقول مسكينك ، مسكينك ، شعر لابن تيمية شيخ الاسلام رحمه الله :

أنا الفقير الى رب السموات أنا المسيكين فى مجموع حالاتى
أنا الظلوم لنفسى وهى ظالمتى والخير ان جاءها من عنده ياتى

قوله ﷺ : « وان تغفرلى وترحمنى » المغفرة والرحمة يجمعان خير الآخرة كله لأن المغفرة ستر الذنب مع وقاية شره وقد قيل انه لاتجتمع المغفرة مع عقوبة الذنب حيث كانت المغفرة وقاية لشر الذنب وهذا لايكون مع عقوبة عليه ولذلك سمى المغفر مغفرا لأنه يستر الرأس ويقيه الأذى وهذا بخلاف العفو فانه يكون تارة قبل العقوبة وتارة بعدها ، وأما الرحمة فهى دخول الجنة وعلو درجاتها وجميع مافى الجنة من النعيم بالمخلوقات ومن رضى الله عز وجل وقربه ومشاهدته وزيارته فانه من رحمة الله تعالى ، وفى الحديث الصحيح « ان الله عز وجل يقول للجنة أنت رحمتى أرحم بك من أشاء من عبادى » فكل مافى الجنة فهو من رحمة الله عز وجل وانما تنال برحمته لا بالعمل كما قال ﷺ : « لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله قالوا ولا أنت يارسول الله قال ولا أنا الا أن يتغمدنى الله برحمته » (١) .

قوله ﷺ : « واذا أردت بقوم فتنة فاقبضنى اليك غير مفتون » المقصود من هذا الدعاء سلامة العبد من فتن الدنيا مدة حياته فان قدر الله عز وجل على عباده فتنة قبض عبده اليه قبل وقوعها وهذا من أهم الأدعية فان

---

(١) فى نسختنا برحمة منه

المؤمن اذا عاش سليما من الفتن ثم قبضه الله تعالى اليه قبل وقوعها وحصول الناس فيها كان فى ذلك نجاة له من الشر كله وقد أمر النبى ﷺ أصحابه أن يتعوذوا بالله من الفتن ماظهر منها وما بطن ، وفى حديث آخر وجنبنا الفواحش والفتن ماظهر منها ومابطن ، وكان يخص بعض الفتن العظيمة بالذكر وكان يتعوذ بالله فى صلاته من أربع ويأمر بالتعوذ منها ، أعوذ بالله من عذاب جهنم ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال ، ففتنة المحيا تدخل فيها فتن الدين والدنيا كلها كالكفر والبدع والفسوق والعصيان وفتنة الممات يدخل فيها سوء الخاتمة وفتنة الملكين فى القبر فان الناس يفتنون فى قبورهم مثل أو قريبا من فتنة الدجال ثم خص فتنة الدجال بالذكر لعظم موقعها فانه لم يكن فى الدنيا فتنة قبل يوم القيامة أعظم منها وكلما قرب الزمان من الساعة كثرت الفتن *

وفى حديث معاوية عن النبى ﷺ أنه قال: « إنه لم يبق من الدنيا الا بلاء وفتنة » وأخبر النبى ﷺ عن الفتن التى كقطع الليل المظلم يصبح الرجل فيها مؤمنا ويمسى كافرا ويمسى مؤمنا ويصبح كافرا يبيع دينه بعرض من الدنيا ، وكان أول هذه الفتن ماحدث بعد عمر رضى الله عنه ونشأ من تلك قتل عثمان رضى الله عنه وما ترتب عليه من ارافة الدماء وتفرق القلوب وظهور فتن الدين كبدع الخوارج المارقين من الدين واظهارهم ماأظهروا ، ثم ظهور بدع أهل القدر والرفض ونحوهم وهذه هى الفتن التى تموج كموج البحر المذكورة فى حديث حذيفة المشهور حين سأله عنها عمر وكان حذيفة رضى الله عنه من أكثر الناس سؤالا للنبى ﷺ عن الفتن خوفا من الوقوع فيها ولما حضره الموت قال حبيب جاء على فاقة لا أفلح من ندم الحمد لله الذى سبقت بى الفتنة قادتها وعلوجها وكان موته قبل قتل عثمان

بنحو من أربعين يوما وقيل بل مات بعد قتل عثمان وكان فى تلك الأيام رجل من الصحابة نائما فأتاه آت فى منامه فقال له قم فاسأل الله أن يعيذك من الفتنة التى أعاذ منها صالح عباده فقام فتوضأ وصلى ثم اشتكى ومات بعد قليل ، وقد روى عن النبى ﷺ انه قال لرجل: « اذا مت أنا وأبو بكر وعمر وعثمان فان استطعت أن تموت فمت » وهذا اشارة الى هذه الفتن التى وقعت بمقتل عثمان رضى الله عنه *

والدعاء بالموت خشية الفتنة فى الدين جائز وقد دعا به الصحابة رضى الله عنهم والصالحون بعدهم ، ولما حج عمر رضى الله عنه آخر حجة حجها استلقى بالأبطح ثم رفع يديه وقال : اللهم انه قد كبر سنى ورق عظمى وانتشرت رعيتى فاقبضنى اليك غير مضيع ولا مفتون ثم رجع الى المدينة فما انسلخ الشهر حتى قتل رضى الله عنه ، ودعا على ربه أن يريحه من رعيته حيث سئم منهم فقتل عن قريب ، ودعت زينب بنت جحش لما اجاءها عطاء عمر من المال فاستكثرته وقالت اللهم لا يدركنى عطاء لعمر بعدها فماتت قبل العطاء الثانى ولما ضجر عمر بن عبد العزيز من رعيته حيث ثقل عليهم قيامه فيهم بالحق طلب من رجل كان معروفا باجابة الدعوة أن يدعو له بالموت فدعا له ولنفسه بالموت فماتا ، ودعى طائفة من السلف الصالح إلى ولاية القضاء فاستمهلوا ثلاثة أيام فدعوا الله لأنفسهم بالموت فماتوا *

واطلع على حال بعض الصالحين ومعاملاته التى كانت سرا بينه وبين ربه فدعا الله ان يقبضه اليه خوفا من فتنة الاشتهار فمات فان الشهرة بالخير فتنة ، كما جاء فى الحديث كفى بالمرء فتنة أن يشار اليه بالأصابع فانها فتنة وكان سفيان الثورى يتمنى الموت كثيرا فسئل عن ذلك فقال: مايدرينى لعلى أدخل فى بدعة لعلى أدخل فيما لا يحل لى لعلى ادخل فى فتنة اكون

قد مت فسبقت هذا ه

واعلم أن الانسان لا يخلو من فتنة قال ابن مسعود رضى الله عنه: لا يقل أحدكم أعوذ بالله من الفتن ولكن ليقل أعوذ بالله من مضلات الفتن ثم تلا قوله تعالى: (انما اموالكم وأولادكم فتنة) يشير الى أنه لا يستعاذ من المال والولد وهما فتنة ، وفى المسند أن النبى صلى الله عليه وسلم أمر أم سلمة أن تقول :« اللهم رب النبى محمد اغفر لى ذنبى واذهب غيظ قلبى وأجرنى من مضلات الفتن ما أبقيتنى» وقد جعل النبى صلى الله عليه وسلم النساء والأموال فتنة ففى الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم قال :« ما تركت بعدى فتنة اضر على الرجال من النساء » وفيه أيضا أنه صلى الله عليه وسلم قال:(والله ما الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم » وفى صحيح مسلم عنه صلى الله عليه وسلم قال: « اتقوا النساء فان أول فتنة بنى اسرائيل كانت فى النساء »(١) وفى الترمذى أنه صلى الله عليه وسلم قال

---

(١) أى والآخر كذلك فما من فتنة الا وللنساء فيها مدخل حتى أنه من الامثال لكل فتنة لا يعرف سببها . فتش عن المرأة لكن هذا لا يمنعنا أن نقول أن معظم الخير كذلك من النساء فالمسلمون لا يستطيعون أن ينكروا ما بذمتهم من الدين لخديجة رضى الله عنها ولكن لما كان الغالب على النساء الجهل فاعتبر حال الاكثر منهن وهو الفتنة فان للمرأة امكنة لا يصل اليها غيرها ولذلك حذر منها لا باعتبارها امرأة فان الام امرأة وقد جعلت الجنة تحت أقدام الامهات فكل ما ورد فى ذم المرأة فهو محمول على المرأة الجاهلة التى لا دين لها ، ولا تغفل عن آية ان المسلمين والمسلمات الخ الآية فقد قرن الرجل الكامل بالمرأة الكاملة ولم يفرق بينهما وانما الاحاديث حكاية حال لغالب النساء الذين جنا عليهن أباؤهن حيث لم يعلموهن وهن صغار ما يجب لهن وعليهن شرعا

« لكل امة فتنة وفتنة أمتى المال » وقد قال الله عز وجل: (وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيرا) فالرجل فتنة للمرأة والمرأة فتنة للرجل والغنى فتنة للفقير والفقير فتنة للغنى والفاجر فتنة للبر والبر فتنة للفاجر والكافر فتنة للمؤمن والمؤمن فتنة للكافر كما قال الله تعالى: (وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء منّ الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين) وقال عز وجل: (ونبلوكم بالشر والخير فتنة) فجعل كل مايصيب الانسان من شر أوخير فتنة يعنى انه محنة يمتحن بها فان اصيب بخير استحق به شكره وأن أصيب بسوء استحق به صبره وفتنة السراء أشد من فتنة الضراء قال عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه بلينا بفتنة الضراء فصبرنا وبلينا بفتنة السراء فلم نصبر (١) قال بعضهم: فتنة الضراء يصبر عليها البر والفاجر ولا يصبر على فتنة السراء الا صديق ٭

ولما ابتلى الامام أحمد بفتنة الضراء صبر ولم يجزع وقال: كانت زيادة فى ايمانى فلما ابتلى بفتنة السراء جزع وتمنى الموت صباحا ومساء وخشى أن يكون نقصا فى دينه ثم ان المؤمن لابد أن يفتن بشىء من الفتن المؤلمة الشاقة عليه ليمتحن إيمانه كما قال الله تعالى: (أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لايفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) ولكن الله يلطف بعباده المؤمنين فى هذه

---

(١) كأنه يريد من فتنة الضراء الحروب والحاجة فصبروا عليها حتى غلبوا الدنيا وأصبحوا بعد القلة أغنياء وفتنة السراء هى الفتن التى وقعت بعد وفاة الرسول صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله حيث ابتدأت تدب فهو وان يكن توفى سنة ثنتين وثلاثين هجرية فى زمن عثمان الا انه شاهد المقدمات وحكم على النتيجة التى لازال المسلمون يتجرعون مرارتها حتى الآن

الفتن (١) و يصبرهم عليها و يثيبهم فيها و لا يلقيهم فى فتنة مهلكة مضلة تذهب بدينهم بل تمر عليهم الفتن وهم منها فى عافية ٠

وأخرج ابن أبى الدنيا من حديث ابن عمر مرفوعا ان لله ضنائن من عباده (٢) يغذوهم فى رحمته و يحييهم فى عافية و يتوفاهم الى جنته أولئك الذين تمر عليهم الفتن كقطع الليل المظلم وهم منها فى عافية ، والفتن الصغار التى يبتلى بها المرء فى أهله وماله وولده وجاره تكفرها الطاعات من الصلاة والصيام والصدقة لذا جاء فى حديث حذيفة ، وروى عنه أنه سأل النبى ﷺ قال ان فى لسانى ذربا وأن عامة ذلك على أهلى فقال له أين أنت من الاستغفار ؟ ٠

وأما الفتن المضلة التى يخشى منها فساد الدين فهى التى يستعاذ منها و يسأل الموت قبلها فمن مات قبل وقوعه فى شىء من هذه الفتن فقد حفظه الله تعالى وحماه ، وفى المسند عن محمود بن لبيد عن النبى ﷺ قال : اثنتان يكرههما ابن آدم يكره الموت والموت خير للمؤمن من الفتن ويكره قلة المال وقلة المال أقل للحساب ٠

قوله ﷺ: « وأسألك حبك وحب من يحبك وحب العمل الذى يبلغنى حبك » هذا الدعاء يجمع كل خير فان الأفعال الاختيارية من العباد انما تنشأ عن محبة وارادة فان كانت محبة الله ثابتة فى قلب العبد نشأت عنها حركات الجوارح فكانت بحسب مايحبه الله ويرتضيه فأحب مايحبه الله عز وجل من الأعمال والأقوال كلها ففعل حينئذ الخيرات كلها وترك

---

(١) فى النسخة النجدية لكن يلطف الله بمن يختصه من عباده المؤمنين فى هذه الفتن

(٢) ضنائن بالضاد أى خصائص واحدها ضنينة فعيلة بمعنى مفعولة من الضن وهو ماتخفيه وتضن به اى تبخل لمكانه منك وموقعه عندك اه لسان العرب وكتب مصححه بالهامش نقلا عن الصاغانى ان هذا من الاحاديث التى لاطرق لها اه

المنكرات كلها وأحب من يحبه الله من خلقه ، وهذا الدعاء كانت الأنبياء عليهم السلام يدعون به كما فى الترمذى عن النبى ﷺ ان داود عليه السلام كان يقول : اللهم انى أسألك حبك وحب من يحبك وحب عمل يبلغنى الى حبك اللهم اجعل حبك أحب الى من نفسى وأهلى ومن الماء البارد » وفيه أيضا أن النبى ﷺ كان يدعو اللهم ارزقنى حبك وحب من يحبك وحب عمل يبلغنى الى حبك اللهم مارزقتنى مما أحب فاجعله قوة لى فيما تحب ومازويت عنى مما أحب فاجعله فراغا لى فيما تحب ، وفى حديث مرسل خرجه ابن أبى الدنيا وغيره أن النبى ﷺ كان يقول: «اللهم اجعل حبك أحب الأشياء الىّ وخشيتك أخوف (١) الأشياء عندى واقطع عنى حاجات الدنيا بالشوق الى لقائك واذا أقررت أعين أهل الدنيا من دنياهم فأقرر عينى فى عبادتك » ومن كان همه طلب محبة الله عز وجل أعطاه الله فوق مايريده من الدنيا تبعا *

قال بعض السلف: لما توفى داود عليه السلام أرسل الله عز وجل إلى سليمان عليه السلام ألك حاجة تسألنى إياها ؟ فقال سليمان أسأل الله أن يجعل قلبى يحبه كما كان قلب أبى داود يحبه وأن يجعل قلبى يخشاه كما كان قلب أبى داود يخشاه فشكر الله له ذلك وأعطاه ملكا لا ينبغى لأحد من بعده *

ومحبة الله تعالى على درجتين إحداهما واجبة وهى المحبة التى توجب للعبد محبة مايحبه الله من الواجبات وكراهة مايكرهه من المحرمات فان المحبة التامة تقتضى الموافقة لمن يحبه فى محبة مايحبه وكراهة مايكرهه خصوصا فيما يحبه ويكرهه من المحب نفسه فلا تصح المحبة بدون فعل مايحبه المحبون

---

(١) فى النسخة النجدية « وخوفك اخوف »

من محبيه وكراهة مايكرهه المحبوب من محبيه ، وسئل بعض العارفين عن المحبة فقال الموافقة فى جميع الأحوال وأنشد :

ولو قلت لى مت مت سمعا وطاعة وقلت لداعى الموت أهلا ومرحبا

وأنشد بعضهم :

تعصى الآله وأنت تزعم حبه هذا لعمرى فى القياس فظيع (١)

لو كان حبك صادقا لأطعته ان المحب لمن يحب مطيـــع (٢)

ومتى أخل العبد ببعض الواجبات أو ارتكب بعض المحرمات فمحبته لربه غير تامة فالواجب عليه المبادرة بالتوبة والاجتهاد فى تكميل المحبة المفضية لفعل الواجبات كلها واجتناب المحرمات كلها ، وهذا معنى قول النبى ﷺ « لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن » فان الايمان الكامل يقتضى

---

(١) فى النسخة النجدية « فى القياس شنيع »

(٢) وان هذا عندنا خير برهان يوضح لك حالة من يزعم الاسلام أو حبه فاذا كانت أعماله تخالف أقواله فلا شك أنه مخادع كذاب اذ لو تكلم عن عقيدة لعمل بما قال ولكنه أراد أن يستغل المغفلين من المسلمين فيزعم موالاتهم فى القول وهو لهم من أشد الاعداء وألدهم فى الافعال ، ليت كل مسلم فهم معنى هذين البيتين وعمل بموجبهما كى يعرف أعداء الاسلام من أصحابه عندئذ تذهب الدسائس وتقل الفتن وتضعف أو تفقد مداخلة الدخلاء اعداء الاسلام فالمحب ينبغى أن يطيع حبيبه والا فانه كاذب فى حبه ومن ادعى خدمة الاسلام عليه أن يعمل أولا بأحكامه والا فان ايمانه يكون مشكوكا فان القول المجرد لادليل عليه الا العمل الذى يجب أن يشهده الطابع ليتحدمعه ويراه العاصى ليقتدى به ويثق بقوله فلم تنزل آية تتعلق بالايمان الاوقرنت بالعمل لانه المؤيد له والبرهان والحجة التى تقام على صحته عندنا لانتظام الشئون وأما عند الله فالله أعلم به وهو الذى لايخفى عليه خافية انا لا نضيع أجر من أحسن عملا ●

محبة مايحبه الله وكراهة مايكرهه الله عز وجل والعمل بمقتضى ذلك فلا يرتكب أحد شيئا من المحرمات أو يخل بشيء من الواجبات الا لتقديم هوى النفس المقتضى لارتكاب ذلك على محبة الله تعالى المقتضية لخلافه ٥

(الدرجة الثانية) من المحبة درجة المقربين وهي ان يمتلىء القلب بمحبة الله تعالى حتى توجب له محبة النوافل والاجتهاد فيها وكراهة المكروهات والانكفاف عنها والرضا بالأقضية والاقدار المؤلمة للنفوس لصدورها عن المحبوب كما قال عامر بن قيس: أحببت الله حبا هون علي كل مصيبة ورضاني بكل بلية : فلا أبالي مع حبي اياه على ما أصبحت ولا على ما امسيت ٥

وقال عمر بن عبد العزيز : لما مات ولده الصالح ان الله أحب قبضه واني أعوذ بالله أن يكون لي محبة في شيء من الامور يخالف محبة الله وكان يقول اذا أصبحت فمالي سرور الا في مواقع القضاء والقدر ٥

يامن يعز علينا أن نفارقهم وجداننا كل شيء بعدكم عدم
ان كان سركم ماقد بليت به فما لجرح اذا أرضاكم ألم

وحسب سلطان الهوى أن يلذ فيه كل ما يؤلم

كان عمار بن ياسر يقول: اللهم لو أعلم أنه أرضى لك عني أن أرمي بنفسي من هذا الجبل فاتردى فأسقط فعلت ولو أعلم انه أرضى لك أن أوقد نارا عظيمة فأقع فيها فعلت ولو أعلم أنه أرضى لك عني أن ألقي نفسي في الماء فاغرق نفسي فعلت ولا أقول هذا الا وأريد وجهك وأنا أرجو أن لا تخيبني وانا أريد وجهك ، وقتل لبعض الصالحين ولدان في الجهاد فعزاه الناس فيهما فبكى وقال اني ما أبكي لفقدهما انما أبكاني كيف كان رضاهما عن الله حيث أخذتهما السيوف ، وكان بعض العارفين يطوف بالبيت فتجمعت القرامطة على الناس فقتلوهم في الطواف فوصلوا اليه

فلم يقطع الطواف حتى سقط من ضرب السيوف صريعا وأنشد :

والله لو حلف العشاق انهم ... موتى من الحب ماماتوا وماحنثوا
ترى المحبين صرعى فى ديارهم ... كفتية الكهف لايدرون كم لبثوا

أقل ثمن المحبة (١) بذل الروح .

بدم المحب يباع وصلهم ... فمن الذى يبتاع بالثمن

قال بعض العارفين : ان كنت تسمح ببذل روحك فى هذه الطريق والا فلا تشتغل بالترهات :

خاطر بروحك فى هوانا واسترح ... ان شئت تحظى بالمحل الأعظم
لا يشغلنك شاغل عن وصلنا ... وانهض على قدم الرجاء واقدم

ولما كانت محبة الله عز وجل لها لوازم وهى محبة مايحبه الله عز وجل من الأشخاص والأعمال وكراهة مايكرهه من ذلك سأل النبى ﷺ الله تعالى مع محبته محبة شيئين آخرين ، أحدهما محبة من يحب مايحبه الله تعالى فان من أحب الله أحب أحباءه فيه ووالاهم وأبغض أعداءه وعاداهم كما قال النبى ﷺ : « ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الايمان أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما وأن يحب المرء لايحبه الا لله وان يكره ان يعود فى الكفر بعد اذ أنقذه الله منه كما يكره ان يلقى فى النار » وأعظم من تجب محبته فى الله تعالى أنبياؤه ورسله وأعظمهم نبيه محمد ﷺ الذى افترض الله على الخلق كلهم متابعته وجعل متابعته علامة لصحة محبته كما قال تعالى : (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم) وتوعد من قدم محبة شىء من المخلوقين على محبته ومحبة رسوله ﷺ ومحبة الجهاد فى سبيله فى قوله تعالى : (قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا) ووصف

---

(١) فى النسخة النجدية « اقل بذل المحبة » الخ

المحبين له باللين للمؤمنين والرأفة بهم والرحمة والمحبة لهم والشدة على الكافرين والبغض لهم والجهاد فى سبيله فقال تعالى : (فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم) الآية .

والثانى محبة مايحبه الله تعالى من الأعمال وبها يبلغ الى حبه وفى هذا اشارة الى أن درجة المحبة لله تعالى انما تنال بطاعته وبفعل مايحبه فاذا امتثل العبد أوامر مولاه وفعل مايحبه أحبه الله تعالى ورقاه الى درجة محبته كما فى الحديث الآلهى الذى خرجه البخارى « وما تقرب الى عبدى بمثل أداء ماافترضت عليه ولا يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه » فأفضل ماتستجلب به محبة الله عز وجل فعل الواجبات وترك المحرمات ، ولهذا جعل النبى ﷺ من علامات وجدان حلاوة الايمان أن تكره أن ترجع الى الكفر كما تكره أن تلقى فى النار ، وسئل ذو النون متى أحب ربى؟ قال اذا كان مايكرهه عندك أمر من الصبر ثم بعد ذلك الاجتهاد فى نوافل الطاعات وترك دقائق المكروهات والمشتبهات ، ومن أعظم ماتحصل به محبة الله تعالى من النوافل تلاوة القرآن وخصوصا مع التدبر قال ابن مسعود رضى الله عنه لايسأل أحدكم عن نفسه الا القرآن فمن أحب القرآن فهو يحب الله ورسوله ولهذا قال النبى ﷺ لمن قال انى أحب سورة قل هو الله أحد لانها صفة الرحمن فقال « أخبروه أن الله يحبه » وقال أبو سلمة بن عبد الرحمن لما قدم النبى ﷺ المدينة خطب فقال فى خطبته ان أحسن الحديث كتاب الله قد أفلح من زينه الله فى قلبه وأدخله فى الاسلام بعد الكفر ، واختاره على ماسواه من الأحاديث أنه أحسن الحديث وأبلغه أحبوا من أحب الله وأحبوا الله من كل قلوبكم ، وكان بعضهم يكثر من تلاوة(١) القرآن ثم

(١) فى نسختنا يكثر تلاوة

فتر عن ذلك فرأى فى المنام قائلا يقول له :

ان كنت تزعم حبى فلم جفوت كتابى
أما تدبرت مافيـ ـه من لطيف عتابى

فاستيقظ وعاد الى تلاوته :

ومن الأعمال التى توصل الى محبة الله تعالى وهى من أعظم علامات المحبين كثرة ذكر الله عز وجل بالقلب واللسان قال بعضهم : ما أدمن أحد ذكر الله الا أفادته منه محبة الله تعالى ، وقال ذو النون من أدمن ذكر الله قذف الله فى قلبه نور الاشتياق اليه ، وقال بعض التابعين علامة حب الله كثرة ذكره فانك لن تحب شيئا الا أكثرت ذكره ، وقال فتح الموصلى : المحب لله لا يجد مع حب الله للدنيا لذة ولا يغفل عن ذكر الله طرفة عين ، المحبون ان نطقوا نطقوا بالذكر وان سكتوا اشتغلوا بالفكر :

فان نطقت فلم ألفظ بغيركم وان سكت فانتم عند إضمارى

ومن علامات المحبين لله وهو مما يحصل به المحبة أيضا حب الخلوة بمناجات الله تعالى وخصوصا فى ظلمة الليل :

الليل لى ولأحبابى أسامرهم قد اصطفيتهم كى يسمعوا ويعوا (١)

قال الفضيل يقول الله عز وجل كذب من ادعى محبتى فاذا جنه الليل نام عنى أليس كل حبيب يحب الخلوة بحبيبه ها أنا مطلع على أحبابى اذا جنهم الليل جعلت أبصارهم فى قلوبهم ومثلت نفسى بين أعينهم فخاطبونى على المشاهدة وكلمونى على حضورى غدا أقر عين أحبابى فى جناتى :

تنام عيناك وتشكو الهوى لو كنت صبا لم تكن نائما

قلوب المحبين جمرة تحت فحمة الليل كلما هب عليها نسيم السحر التهبت وأنشد

يذكرنى مر النسيم عهودكم فازداد شوقا كلما هبت الريح

---

(١) فى النسخة النجدية : وانا جبهم كى يسمعوا بوصالى — وهذه الشعارة ليست من بحر تلك

أرانى اذا ما أظلم الليل اشرقت بقلبى من نار الغرام مصابيح
كلما جن الغاسق حن العاشق *

لو انك أبصرت أهل الهوى اذا غابت الأنجم الطلع
فهذا ينوح على ذنبه وهذا يصلى وذا يركع

من لم يكن له مثل تقواهم لم يدر ما الذى ابكاهم ومن لم يشاهد جمال يوسف لم يدر ما الذى آلم قلب يعقوب ، وسئل السرى السقطى عن حاله فأنشد :

من لم يبت والحب حشو فؤاده لم يدر كيف تفتت الأكباد

أين رجال الليل ؟ أين ابن أدهم والفضيل ، ذهب الابطال وبقى كل بطال ، يامن رضى من الزهد بالزى ومن الفقر بالاسم ومن التصوف بالصوف ومن التسبيح بالسبح أين فضل الفضيل ؟ أين جد الجنيد ؟ أين سر السرى ، أين بشر ابراهيم بن أدهم ؟ ويحك ان لم تقدر على معرفة معروف (٢) فاندب على ربع رابعة وانشد :

هاتيك ربوعهم وفيها كانوا بانوا عنها فليتهم ما بانوا
ناديت وفى حشاشتى نيران يادار متى تحول السكان

يامن كان له قلب فانقلب يامن كان له وقت مع الله فذهب ، قيام الأسحار يستوحش لك ، صيام النهار يسأل عنك ، ليالى الوصال تعاتبك على انقطاعك :

تشاغلتم عنا بصحبة غيرنا وأظهرتم الهجران ماهكذا كنا
وأقسمتم ألا تحولوا عن الهوى فقد وحياة الحب(١) حلتم وما حلنا
ليالى كنا نجتنى من ثماركم فقلبى الى تلك الليالى لقد حنا

اخوانى مجالس الذكر شراب المحبين وترياق المذنبين قد علم كل أناس مشربهم ، مجالس الذكر مآتم الأحزان فهذا يبكى لذنوبه وهذا يندب لعيوبه وهذا يتأسف على فوات مطلوبه وهذا يتلهف لاعراض محبوبه ، وهذا يبوح بوجوده

---

(١) فى النسخة التجدية «وحياة الرب» (٢) هو معروف الكرخى

وهذا ينوح على فقده وأنشد :

ما اذكر عيشنا الذى قد سلفا ... الا وجف القلب ولم قد وجفا
واها لزماننا الذى كان صفا ... بل وأسفا لفقده وأسفا
غيره ياليتنا بزمزم والحجر ... ياجيرتنا قبيل يوم النفر
فهل يعود مامضى من عمرى ... ما كنت أدرى ياليتنى لاأدرى

كأنى أرى الحلم قد خلعت على المقبولين كأنى أرى الملائكة تصافح التائبين فتعالوا نجتمع نبكى على المطرودين :

مازلت دهرا للقا متعرضا ... ولطالما قد كنت عنا معرضا
جانبتنا دهرا فلما لم تجد ... عوضا سوانا صرت تبكى محرضا
واحسرتاه عليك من متقلب ... حق الوبال عليه من سوء القضا
لو كنت من احبا بنا للزمتنا ... فكسيت من احساننا خلع الرضا
لكن غمطت حقوقنا وتركتنا ... فلذاك ضاق عليك متسع الفضا

تم الكتاب والحمد لله أولا وآخرا وذلك فى شهر ربيع الثانى سنة ١٣٥٣ هـ على نبينا أفضل صلاة وأكمل تحية

فهرست

صفحة كتاب اختيار الأولى فى شرح حديث اختصام الملأ الأعلى
٣ تخريج حديث الكتاب من طرق كثيرة وبيانها مفصلة
٤ بيان عادة النبى ﷺ فى صلاة الصبح
٥ بيان معنى قول أبى بكر الصديق رضى الله عنه : لو طلعت لم تجدنا غافلين
٥ استحباب قص الرؤيا على أصحاب الرائى اذا كانت مما تسرهم
٦ بيان أن النبى ﷺ اعطى علم كل شىء خلا مفاتيح الغيب الخمس التى اختص الله عز وجل بعلمها
٧ مذهب السلف والخلف فى متشابه التنزيل وبيان ان الطريق الاسلم

صفحة هو ماكان عليه الصدر الأول ثم من بعدهم من أهل السنة والجماعة
٨ سبب سؤال الملائكة اذا مات ابن آدم : عما قدم
٩ ﴿الفصل الأول﴾ في ذكر الكفارات
٩ بيان الأمور التي بسببها تكفر الذنوب وما تشتمل عليه الصلاة من الحكم
١٠ ذكر ما تمحى به الخطايا وترفع به الدرجات
١٠ السبب الأول من مكفرات الذنوب الوضوء
١٢ فائدة الوضوء وثمرته العظيمة وسرد طرق الأحاديث في فضل ذلك
١٤ بيان النصوص التي وردت بحصول الثواب على الوضوء زيادة على تكفير السيئات
١٦ بيان أن الوضوء مفتاح الصلاة وتطفأ به حرارة القلب الناشئة عن الالم
١٧ بيان الاشياء التي ينشأ عنها الرضى بملاحظتها
١٨ ذكر ما كان يحصل للسلف الصالح عند الوضوء من القعقعة والاصفرار
١٩ بيان ان اسباغ الوضوء في البرد لاسيما في الليل يطلع الله عليه ويرضى به ويباهي به الملائكة
٢١ ذكر من كان لا يشعر ببرد الشتاء الشديد ويرى بخارا يخرج من الماء البارد يقيه البرد
٢٢ السبب الثاني من مكفرات الذنوب المشي على الاقدام الى الجماعات والجمعات
٢٢ بيان ان للفروض الخمسة التي بنى الاسلام عليها جهتين
٢٤ استحباب الاغتسال قبل المشي الى الجمعات
٢٥ بيان ان الزيارة على الاقدام أفضل من الركوب
٢٦ من ثواب المشي الى الصلاة في الظلم تحصيل النور التام في ظلم القيامة
٢٧ حكمة مشروعية الطهارة قبل الدخول في الصلاة
٢٨ مشروعية تجديد التوبة والاستغفار عقب كل وضوء
٢٨ بيان أن جمهور العلماء على ان هذه الاسباب كلها انما تكفر الصغائر دون الكبائر وتحقيق ذلك

٣٠ السبب الثالث من مكفرات الذنوب الجلوس فى المساجد بعد الصلوات
(ووقع فى الاصل ـ الثانى ـ بدل ـ الثالث ـ فليصحح)
٣١ بيان ان منتظر الصلاة فى المسجد كالمصلى فى الثواب
٣٢ الحكمة فى أن ملازمة المساجد للطاعات تكفر الذنوب
٣٣ مناجاة المحبين فى مساجد الله
٣٤ ﴿ الفصل الثانى ﴾ فى ذكر الدرجات المذكورة فى حديث معاذ وهى ثلاث وبيانها مفصلة وذكر احد الدرجات الثلاث
٣٥ ماورد فى فضل اطعام الطعام من الآيات والأحاديث
٣٧ ما كان يقوله أبو موسى الأشعرى لولده
٣٨ بيان أفضل أنواع اطعام الطعام وذكر سبب نزول آية (و يؤثرون على أنفسهم)
٣٩ ذكر جملة من علماء السلف كانوا يؤثرون الغير على أنفسهم
٤١ ﴿ الفصل الثالث ﴾ ان من الدرجات لين الكلام
٤٤ بيان ان الله عز وجل وصف فى كتابه أهل الجنة بمعاملة الخلق بالاحسان بالمال واحتمال الأذى
٤٥ أنجح وعظ واسرع قبول للامر بالمعروف والنهى عن المنكر الانة القول فيه وان يكون برفق واتساع صدر وكيف كان السلف فى ذلك
٤٧ الثالث من الدرجات الصلاة بالليل والناس نيام
٤٨ مايجزاه المتهجدون فى الليل يوم القيامة
٥١ أقوال علماء الصوفية فى التهجد
٥٣ ﴿ الفصل الثالث ﴾ فى ذكر الدعوات المذكورة فى حديث الكتاب
٥٣ بيان ان قوله ﷺ « واذا أردت بقوم فتنة فاقبضنى اليك غير مفتون » من جوامع الأدعية

٥٥ بيان أن حب المساكين أصل الحب فى الله تعالى
٥٦ لم يزل السلف الصالح يوصون بحب المساكين .
٥٧ من عادة الرسول ﷺ عيادة المرضى من مساكين أهل المدينة وتشييع جنائزهم وكان لا يأنف ان يمشى مع الأرملة والمسكين حتى يقضى حاجتهما وعلى هذا الهدى كان أصحابه رضى الله عنهم من بعده والتابعون لهم باحسان
٧٨ فى فضائل المساكين انهم أكثر أهل الجنة الخ
٦٠ بيان ان محبة المساكين لها فوائد كثيرة
٦٢ بيان ان علماء السلف كانوا يأخذون العلم عن أهله والغالب عليهم المسكنة وعدم المال والرفعة فى الدنيا الخ
٦٤ مشروعية النظر الى من دون الانسان لا الى من فوقه
٦٥ تقسيم المساكين الى قسمين وبيانهما مفصلا
٦٩ يطلق اسم المسكين ويراد به من استكان قلبه لله عز وجل وانكسر له
٧٠ حال مساكين أهل الحب
٧٢ كلام شيخ الاسلام ابن تيمية فى المسكين وتفسير حديث «واذا أردت»
٧٤ جواز الدعاء بالموت خشية الفتنة فى الدين وأقوال علماء السلف فى ذلك
٧٥ من الفتن بسط الدنيا على الانسان
٧٦ حال الامام أحمد بن حنبل فى فتنة الضراء والسراء
٧٨ محبة الله على درجتين وبيان الدرجة الاولى منهما
٨٠ الدرجة الثانية من المحبة درجة المقربين
٨١ بيان لوازم محبة الله عز وجل
٨٣ بيان الاعمال التى توصل الى محبة الله عز وجل
٨٥ خاتمة الطبع وبه يتم الفهرس

﴿ تمت الفهرست ﴾

obeikandl.com
EGYPTIAN LIBRARY